جماليات السرد في كتاب "وحي القلم" للرافعي

قصة (أمراء للبيع) أنموذجًا

الرؤية والتشكيل

إعـداد

دكتور/ وائل صلاح إسماعيل

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

جامعة الأزهر -مصر

١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٤م

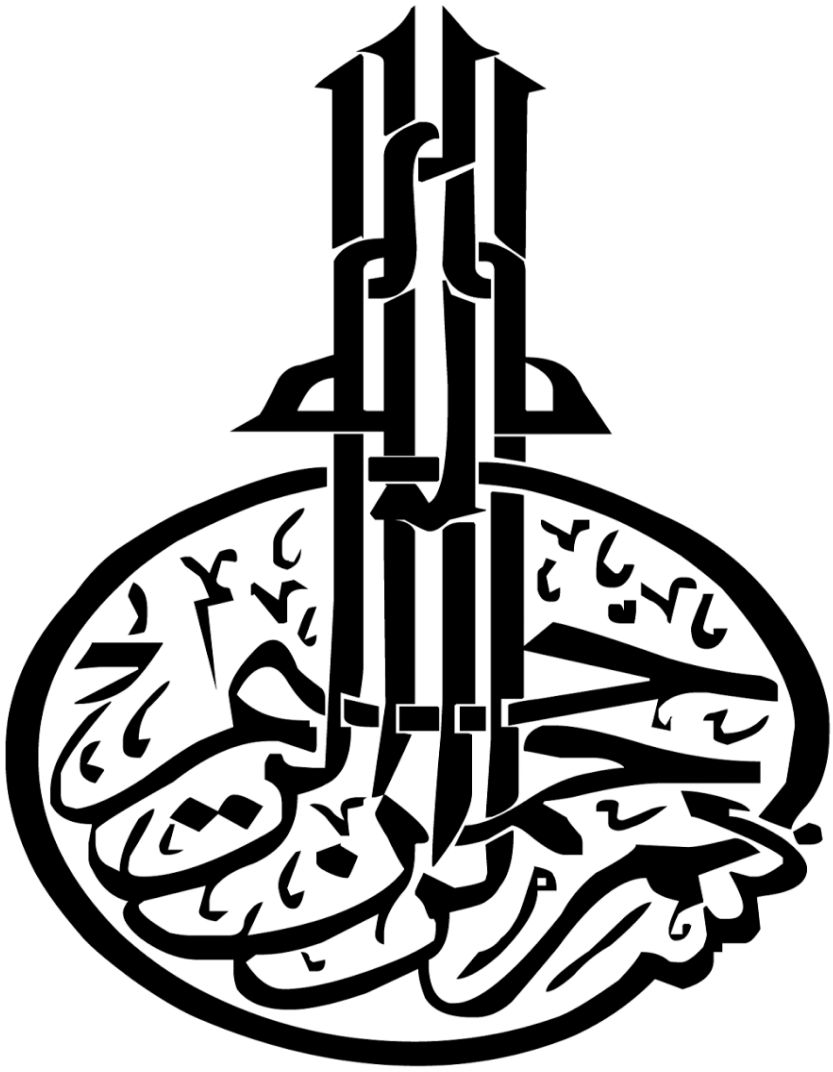

جماليات السرد في كتاب "وحي القلم "للرافعي قصة (أمراء للبيع) أنموذجًا الرؤية والتشكيل

وائل صلاح إسماعيل
قسم: الأدب والنقد – كلية اللغة العربية بإيتاي البارود – جامعة الأزهر – مصر.
البريد الإلكتروني:
Waelsala.2034@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور هذا البحث حول دراسة فن القصة في أدب الكاتب الكبير مصطفي صادق الرافعي، وذلك من خلال دراسة قصته التاريخية (أمراء للبيع) وما تضمنته تلك القصة من مضامين وأفكار، وما حوته من خصائص وأدوات تشكيلية فنية استعان بها الكاتب الكبير في بناء قصته، واستهل البحث بمقدمة تناولت التعريف بموضوع البحث وأهميته ودوافعه، وما سبقته من دراسات، ثم تمهيد تناول الحديث بإيجاز عن سيرة وحياة الرافعي، وأصالة فن القصة في أدبه. ثم مباحث الدراسة الثلاثة وهي كالتالي: المبحث الأول بعنوان: الرؤية والمضمون في قصة"أمراء للبيع"، وتناول هذا المبحث دراسة بعض الخصائص الموضوعية في القصة كنوع القصة ومضمونها والباعث علي كتابتها وأحداثها وما بها من صراعات وعقدة وحل، ثم المبحث الثاني بعنوان: تقنيات التشكيل الفني في قصة"أمراء للبيع"وتعرض البحث من خلاله لدراسة عناصر الحدث والحوار وبناء القصة، ووصف الزمان والمكان وشخصيات القصة. ثم المبحث الثالث بعنوان: السمات الجمالية في قصة (أمراء للبيع)، وتعرض لدراسة ظاهرة سيمائية العنوان، والتناسل السردي، والاسقاط، والاستطراد، والبناء القصصي، ومظاهر الخيال في القصة. ثم خاتمة البحث ونتائجه ومن أهمها: إلمام الرافعي بأدوات الفن القصصي، واستخدامه في كتابة القصة الأدبية عناصر هذا الفن

القصصي من أحداث وصراع وعقدة وحبكة وحل. والله تعالي من وراء القصد، والهادي إلىٰ سواء السبيل.

الكلمات المفتاحية: أمراء للبيع، الرافعي، الإمام العز، المماليك، التناسل السردي.

The Aesthetics of Narration in the Story (Princes for Sale) by Al-Rafi'i Vision and Formation

Wael Salah Ismail
Department of Literature, Faculty of Arabic Language, Itay al-Baroud, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Waelsala.2034@azhar.edu.eg

Abstract:

This research revolves around studying the art of the story in the literature of the great writer Mustafa Sadiq Al-Rafi'i, through studying his historical story (Princes for Sale) and the contents and ideas contained in that story, and the characteristics and artistic tools that the great writer used in constructing his story. The research began. With an introduction that dealt with introducing the topic of the research, its importance and motivations, and the studies that preceded it, then a preface that briefly discussed the biography and life of Al-Rafi'i, and the originality of the art of the story in his literature. Then the three sections of the study are as follows: The first section is entitled"Vision and Content in the Story of"Princes for Sale."This section deals with studying some of the objective characteristics of the story, such as the type of story, its content, the motivation for writing it, its events, and the conflicts, complexities, and solutions it contains. Then the second section is titled"Techniques of Composition."The artistic work on the story"Princes for Sale", through which the research was presented to study the elements of the event, the dialogue, the construction of the story, and a description of the time, place, and characters of the story. Then the third section is entitled"Aesthetic features in the story (Princes for Sale), and it presents a study of the semiotic phenomenon of the title, narrative reproduction, projection, digression, narrative construction, and aspects of imagination in the story. Then the conclusion of the research and its results, the most important of which are: Al-Rafi'i's familiarity with the

tools of narrative art, In writing the literary story, he used the elements of this narrative art, such as events, conflict, complexes, plots, and solutions. Al-Rafi'i was able to remove the dust from the sincere religious scholars and reveal the true faith and religious image of them, in contrast to what other writers did of distorting and insulting the symbols and scholars of the nation and God Come from behind the intention, and guide to the straight path.

***Keywords**:*

Princes for Sale, Al-Rafi'i, Imam Al-Izz, Mamluks, Narrative reproduction.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وخاتم النبيين، ورحمة الله إلي العالمين سيدنا ونبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين. وبعد،،

يعد الكاتب والأديب الكبير"مصطفي صادق الرافعي"-رحمه الله- أحد أبرز أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، وعُرف الرافعي بين أقرانه وقرائه ومحبيه بمهارته ومقدرته الأدبية العالية علي كتابة المقال الأدبي والتفنن فيه، وتنوّعت مقالاته وتعددت ما بين أدبية،وإسلامية،واجتماعية كانت تنشر علي صفحات مجلات الرسالة والمقتطف والهلال وغيرها.

وبجانب كتابة الرافعي المقال وريادته له فله كذلك باعٌ ليس بالقيل ولا باليسير في مجال كتابة القصة الأدبية والإبداع في ميدانها الخصب الرحيب.

واستطاع الرافعي في وقت وجيز أن يثبت وجوده وحضوره البارز في مجال كتابة هذا الفن الوليد في الأدب العربي،وأن يفسح لقلمه مساحة واسعة علي صفحات مجلة الرسالة وغيرها.

وكان الاتجاه الغالب عند الرافعي في كتابة فن القصة هو الاتجاه التاريخي الإسلامي، الذي كان يجد فيه نفسه وروحه، فاتجه إليه بفكره وبفنه، مستمدًا منه غالبية قصصه، وبجانب هذا الاتجاه التاريخي كانت له اهتمامات بارزة في مجال كتابة القصة الاجتماعية التي عالج من خلالها العديد من قضايا المجتمع وأمراض العصر.

ويعد الرافعي رائدًا في مجال كتابة القصة التاريخية في العصر الحديث، وذلك لما أبدغه في هذا الميدان من كمٍ كبيرٍ من القصص التاريخية، التي تناولت أهم وأخطر الحوادث في العصور التاريخية الإسلامية المجيدة.

ولعل ما دفع الرافعي إلي الانصراف إلي التاريخ يستمد منه المواقف والأحداث الإسلامية المجيدة إيمانه بقيمة وقدر هذا التاريخ المجيد، وبأن فيه من المثل الفاضلة والدروس النافعة والمواقف العظيمة ما إن تدبرها أبناء العصر ووعوها، واقتدوا بأبطالها لسادوا وقادوا الأمم والممالك التي كانت لأسلافهم من ذي قبل.

وبالنظر في كتاب"وحي القلم"للرافعي نلحظ أنه يحتوي علي العديد من القصص التاريخية والاجتماعية، واستفتح الرافعي هذا السفر القيّم بقصة تاريخية وهي "اليمامتان "وتناول من خلالها الرافعي الحديث عن الفتح الإسلامي لمصر، وما صاحبه من أحداث ووقائع، والحديث عن أخلاق العرب، وتعريب مصر الفرعونية الرومانية، وإعجاب قبط أهل مصر بأخلاق الفاتحين.

ثم اختتم الرافعي هذا السفر بقصة تاريخية كتبها قُبيل وفاته بأيام قليلة وهي قصة "أمراء للبيع"، والتي تناول فيها الرافعي الحديث عن عدة مواقف تاريخية مجيدة لعالِمين جليلين من علماء الإسلام عُرفا بشجاعتهما وشجاعتهما في مواجهة جور السلاطين والحكام، وهما شيخ الإسلام تقي الدين بن مجد الدين بن دقيق العيد، (ت ٧٠٢هـ) وسلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ)، وجاءت القصة علي لسان راوٍ وهو الشيخ تاج الدين محمد بن علي (ت ٧١٧هـ)الملقب بـ (طوير الليل).

وقد جذبتني قصة"أمراء للبيع"وأنا أقرؤها في الجزء الثالث من كتاب "وحي القلم"للرافعي، وذلك لما تناولته تلك القصة من مواقف تاريخية مجيدة مؤثرة لعلماء الإسلام وشيوخه البارزين المخلصين، الذين أُشربت قلوبهم ونفوسهم روح الشرع الحنيف، ومثّلُوا الإسلام تمثيلًا صادقًا في أزهي عصوره،فكانوا ألسنة حق وصدق لهذا الدين الحنيف في أشد المواقف وأصعب الظروف.

وقد دفعني إلي الكتابة في هذا الموضوع ودراسة تلك القصة دافعان أساسيان هما:

الدافع الأول: دافع تاريخي يتعلق بزمن أحداث القصة (العصر المملوكي) يتمثل في محاولة دحض الشبهة المزعومة وتنفيد القول الكاذب بضعف علماء الأمة آنذاك وخنوعهم من أجل إرضاء الحكام والسلاطين، وتهميش دورهم إزاء قضايا الأمة في ذلك العصر المملوكي.

والبحث بموضوعيته وحيادته يهدف لمعالجة إشكالية العلاقة بين العلماء والحكام في العصر المملوكي، متجنبًا ونائيًا عن أي إسقاط أو تلميح لعصر آخر أو ظروف وملابسات أخري .

الدافع الآخر: دافع أدبي فني يتعلق بكاتب القصة وهو الرافعي: يتمثل في محاولة إثبات حضور الرافعي في مجال الإبداع القصصي والتفنن فيه بمهارة واتقان.

وقامت العديد من الدراسات والبحوث الأدبية الحديثة التي تناولت أدب الرافعي بالدراسة والنقد والتحليل، منها علي سبيل المثال لا الحصر(مصطفي صادق الرافعي أديبا إسلاميا، مصطفي الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه، الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإسلامي الكبير مصطفي صادق الرافعي، مصطفي صادق الرافعي رائد الرمزية العربية، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، الجانب الإسلامي في أدب الرافعي، خواطر الرافعي في تفسير القرآن وإعجازه، الإسلام في أدب الرافعي وغير ذلك الكثير من الدراسات والأعمال.

وهناك دراسات أخري تناولت القصة في أدب الرافعي منها بحث بعنوان: الجوانب الموضوعية والفنية في قصة"اليمامتان "للرافعي للدكتور حسن عطية طاحون بكلية اللغة العربية بالمنصورة،الأمر الذي شجعني ودفعني إلي محاولة تناول القصة التاريخية الختامية للرافعي وهي قصة "أمراء للبيع "بجانب قيمتها الأدبية والفنية

العالية، وأهميتها البالغة الفاعلة في معالجة أمور وأحوال الواقع الإسلامي المتردي من خلال تلك الاسقاطات والإشارات التاريخية من تراثنا الإسلامي المجيد.

واعتمدت في كتابة هذا البحث علي المنهجين التاريخي والتحليلي، وذلك لمناسبتهما لدراسة مثل هذا النوع من القصص التي تتصل مباشرة بالتاريخ، ثم لقدرة المنهج التحليلي علي استكناه ما تحمله تلك القصص من مضامين وأفكار.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

في المقدمة أوضحت سبب اختياري الموضوع وهو رغبتي في إزاحة الغبار عن شيء من إبداع"الرافعي"الذي يوصف بغيرته وحرصه الشديد علي الدين واللغة، وكذلك الرغبة في إثبات وتأكيد حضور الرافعي في مجال كتابة الفن القصصي والإبداع فيه بعد أن اتهم بالضعف والفتور فيه.

ثم التمهيد ويتضمن الحديث عن شيء من حياة الرافعي والقصة في أدبه. **ثم المبحث الأول** بعنوان: الرؤية والمضمون في قصة "أمراء للبيع"، **ثم المبحث الثاني** بعنوان: تقنيات التشكيل الفني في قصة "أمراء للبيع"، **ثم المبحث الثالث** بعنوان: السمات الجمالية في قصة أمراء للبيع، **ثم خاتمة البحث** ونتائجه ثم قائمة المصادر والمراجع.

والله تعالي من وراء القصد وهو الهادي إلي سواء السبيل.

التمهيد: حياة الرافعي وفنه القصصي

أولا: حياة الرافعي

ولد"مصطفي صادق الرافعي"في يناير سنة ١٨٨٠ م في منزل جده لأمه بقرية بهتيم بالقليوبية لأبوين من أصلٍ سوري، ووالده هو الشيخ عبد الرازق الرافعي من كلار قضاة الشريعة الإسلامية، وتنقل مع أبيه والأسرة لوظيفة والده".(١)

والرافعي سوري الأصل، مصري المولد، إسلامي الوطن، فأسرته من طرابلس الشام، يعيش علي أرضها إلي اليوم أهله وبنو عمه، ولكن مولده بمصر، وعلي ضفاف النيل عاش أبوه وجد والأكثرون من بني عمه وخؤولته منذ أكثر من قرن من الزمان"(٢).

والرافعي حنفي المذهب كسائر أسرته، لكنه درس المذهب الشافعي وكان يعتد به ويأخذ برأيه في كثير من مسائل العلم. وأم الرافعي كأبيه سورية الأصل، وكان أبوها الشيخ الطوخي تاجرًا تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام،وأصله من حلب"(٣).

وكان الرافعي قبل سنة ١٨٩٢ م يأخذ عن والده تعليمه في الإملاء والإنشاء، وحفظ القرآن الكريم، ثم أدخل المدرسة الابتدائية في دمنهور، ولم يمكث بها عاما حتي انتقل إلي مدرسة الأميرية بالمنصورة حيث عين والده قاضيا في محكمتها.

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي طبعة دار العلم للملايين بيروت لبنان سنة ١٩٨٠ م ج٤ ص ٤٠.

(٢) حياة الرافعي لمحمد سعيد العريان. مطبعة الاستقامة بالقاهرة المكتبة التجارية الكبرىٰ الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م ص ٢٣.

(٣) السابق ص ٣٣.

وكان لوالد الرافعي مكتبة حافلة تجمع أشتاتًا من نوادر كتب الفقه والدين والعربية، فأكبّ عليها إكباب النهم علي الطعام الذي يشتهيه، فما مضي إلا القليل حتي استوعبها وأحاط بكل ما فيها وراح يطلب المزيد .

وقد أصيب الرافعي في حوالي السابعة عشرة من عمره بمرض شديد، كان من آثاره ثقل السمع الذي ازداد مع الزمن حتي أصبح صممًا كاملًا وهو في الثلاثين من عمره.

وفي أبريل سنة ١٨٩٩ م عُيّن الرافعي بمحكمة طلخا الشرعية، بمرتب أربعة جنيهات، وأعانه علي الظفر بهذه الوظيفة ما كان لأبيه وأسرته من جاه في المحاكم الشرعية، وما كان الرافعي ليجهل جاه أبيه وأسرته في هذه المحاكم، وما كان منكورًا لديه أن لهم يدًا علي كل قاض في القضاء الشرعي "(١).

وظهر نبوغ الرافعي الأدبي مبكرًا، فكتب العديد من المقالات الأدبية علي صفحات أشهر وأكبر المجلات الأدبية في مصر.

وكان الرافعي كاتبًا أصيلًا، يمثل التيار المحافظ علي الإسلام والعربية، والتقاليد الشرقية، وكان يقول عن نفسه: "يُخيلُ إلي دائمًا أني رسول لغوي للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه".

وكان متوازنًا أمام الفنون الأدبية، فلم يشأ أن يكون أسيرًا لواحد منها، فقد عالج فنون الشعر والنثر معًا، فبجانب براعته في الكتابة الأدبية كان له حضورٌ كبيرٌ في مجال نظم الشعر، إضافة إلي الرسائل الأدبية، والبلاغة القرآنية والنبوية، وكتابة القصص.

وكتب الرافعي العديد من القصص الأدبية التي نشرها في"وحي القلم"، والتي تجاوزت الأربعين قصة، ما بين تاريخية واجتماعية، ومصادرها مستمدة من الواقع

(١) حياة الرافعي ص ٣٤.

والتاريخ، ومعظمها من نوع القصة القصيرة، التي تدور في الغالب حول حدث واحد، وتأخذ شكل الحلقات المسلسلة وقد تبلغ حينا تسع حلقات في قصة، وقد تقتصر علي حلقتين في قصة أخري.

ولم يعمرُ الرافعي طويلًا، ففي يوم الإثنين العاشر من شهر مايو سنة ١٩٣٧ م أسلم روحه إلي بارئها، وانتقل إلي جوار ربه، ليواري جثمانه الثري في مقبرة الرافعي بطنطا، بعد أن أثري الحياة العربية والأدبية بزاد وفير وغزير من العلم والثقافة والأدب، ودارت حوله بعد وفاته العديد من المعارك الأدبية ما بين مقرظٍ له ومغلظٍ القول عليه،إلي درجة التناقض والاقتتال الأدبي حول الرجل في حياته وبعد وفاته.

ويظل الرافعي – رغم ما أثير حوله من ضجة أدبية كبيرة – علامة فارقة ونقطة مضيئة في حياتنا العربية والأدبية ، وهو كما وصفه صديقه محمد سعيد العريان بقوله "كان الرافعي هبة الله إلي الأمة العربية المسلمة في هذا الزمان، لينبها إلي حقائق وجودها، وليردها إلي مقوماتها، وليشخّص لها شخصيتها التي تعيش باسمها ولا تعيش فيها، والتي تعتز بها ولا تعمل لها "(١).

ثانيا: فن القصة في أدب الرافعي

لم ينشغل الرافعي بكتابة المقال الذي أبدع فيه وتفرّد بريادته له وبزّ فيه أقرانه ومعاصريه عن الإبداع والتفنُّن في سائر الفنون والأجناس الأدبية الأخرىٰ، فنظم الشعر وصال في ميدانه الفسيح وهو في ريعان شبابه، ثم اتجه إلي مجال القصة فأدلي فيها بدلوه بعد أن كان رافضًا لها ومبغضًا ومعاديًا لأصحابها في بداية أمره، كما ذكره رفيقه وراوية أدبه"محمد سعيد العريان"بقوله: "لم يكن الرافعي يعرف عن فن القصة شيئا يحمله علي معالجتها ويغريه علي العناية بها، وقد قدمت بأنه كان يسخر ممن يقصّر

(١) حياة الرافعي للعريان ص ١٧.

جهده من الأدباء علي معالجة القصة، ولا يراه أهلًا لأن يكون من أصحاب الامتياز في الأدب، إذ لم تكن القصة عنده إلا ضربًا من العبث ولونًا من ألوان الأدب الرخيص،لا ينبغي أن تكون هي كل أدب الأديب وفن الكاتب "(١).

ثم يعود العريان ويقرّر بأن الرافعي كان يجدُ لذةً في قراءة القصة علي أنها لون من ألوان الرياضة العقلية لا باب من الأدب، كما يشاهد رواية في السينما أو يقرأ حادثة في جريدة. وأحسب أنه كان يعتقد – علي أنه كان لا يعرف التواضع في الأدب بأنه لا يحسن أن ينشئ قصة ولا ينبغي له، وأحسب أيضا حين أنشأ قصة سعيد بن المسيب لم يكن يقصد أن تكون قصة، ولكنها هكذا جاءت علي غير إرادته فكأنما اكتشف بها نفسه "(٢).

هذا التناقض والتضارب حول ميل الرافعي للقصة أو تجافيه عنها جعل أحد الباحثين يذهب إلي أن هذا الحكم علي الرافعي "نوع من التجاوز في حقه، ويقرر بأن هذا القول لا يؤخذ منه علي إطلاقه، فمِثْل الرافعي لا يغيب عنه أن القصة من حيث هي فنٌ أدبي له تقديره، علي الأقل باعتبارها أحد الفنون القولية البالغة في القرآن الكريم. ثم إن الرافعي قد حاول أن يسهم في الفن القصصي أول أمره، فكتب قصة اجتماعية واقعية عام ١٩٠٥ م بعنوان "الدرس الأول في علبة الكبريت"والتي نشرها بعد ذلك بثلاثين سنة تحت عنوان "السطر الأخير من القصة" ثم كتب بعد ذلك في سنة ١٩٢٥م قصة أخري بعنوان "عاصفة القدر" لكن الرافعي كان في شغل عن كتابة القصة طوال السنين الأولي بمعاركه الأدبية والنقدية، وبكتابة رسائله عن الحب

(١) حياة الرافعي ص ٢٥٢.
(٢) السابق نفس الصفحة .

والجمال، ويشهد لذلك أنه عندما اتجه إلي الكتابة المنتظمة في الرسالة وفتح له باب القصة فإنه لم يغلق من بعد "(١).

والرافعي نفسه يريحنا من هذا التخبط والتضارب حول مدي اهتمامه بكتابة فن القصة من عدمه في مقال له بعنوان "فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها"بقوله: "لم أكتب القصة إلا قليلا، إذا أنت أردت الطريقة الكتابية المصطلح علي تسميتها بهذا الاسم، ولكني مع ذلك لا أراني وضعت كل كتبي ومقالاتي في قصة بعينها، هي قصة هذا العقل الذي في رأسي، وهذا القلب الذي بين جنبي. وأنا لا أنكر أن في القصة أدبا عاليا، ولكن هذا الأدب العالي في رأي لا يكون إلا بأخذ الحوادث وترتيبها في الرواية كما يُرَبَّي الأطفال علي أسلوب سواء في العلم والفضيلة. فالقصة في هذه الناحية مدرسة لها قانون مسنون، وطريقة ممحَّصة، وغاية معينة، ولا ينبغي أن يتناولها غير الأفذاذ من فلاسفة الفكر الذين تنصبهم مواهبهم لإلقاء الكلمة الحاسمة في المشكلة التي تثير الحياة أو تثيرها الحياة، والاعلام من فلاسفة البيان الذين رزقوا من أدبهم قوة الترجمة عما بين النفس الإنسانية والحياة، وما بين الحياة وموادها النفسية في هؤلاء وهؤلاء، تتخيل الحياة فتبدع أجمل شعرها، وتتأمل فتخرج أسمي حكمتها، وتشرع فتضع أصح قوانينها "(٢).

وكتب الرافعي في وحي القلم نحو أربعين قصة تمثل حوالي ستين بالمائة من حجم الكتاب، وأغلبها من الحياة اليومية وعددها ثلاث وعشرون قصة، فضلا عن

---

(١) القضايا الفنية والفكرية في أدب الرافعي د أحمد جاد صالح شاهين إصدارات وطبع مجلة الوعي الإسلامي الإصدار مائة وستة وسبعون سنة ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩ م ج ٢ ص ٤٣٦

(٢) وحي القلم. مصطفي صادق الرافعي.ضبطه وصححه محمد سعيد العريان. مطبعة الاستقامة. الطبعة الأولي سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م ج ٣ ص ٣٠٠

سبع عشرة قصة مستوحاة من التراث الإنساني وتمثل جميعها المرحلة الانتقالية بين السرد القديم المتأثر بالمقامة والمسرح، والسرد الحديث الذي عليه اللاحقون من الأدباء "(١).

ويري الدكتور"عبد القادر القط "أن الرافعي كان يجنح في قصصه إلي ما يسمي بالقصة القصيرة، لكن ذاتيته المسيطرة عليه لم تُطق صبرا علي ما تقتضيه القصة من خفاء شخصية الكاتب وراء المواقف والشخصيات "(٢).

وأغلب قصص الرافعي في وحي القلم جاءت علي هذا اللون القصير من القصص، حيث كان الرافعي يميل في قصصه إلي تصوير حادثة واحدة أو موقفًا واحدا في قالب قصصي قصير،لا تتجاوز مدة قراءته النصف الساعة أو أقل، ولا يكثر فيه من توظيف عدد كبير من الشخصيات في قصصه، علي خلاف القصة الطويلة أو الرواية التي تتناول عدة أحداث داخل القصة الواحدة، ويحتشد فيها عدد كبير من الشخصيات، وتأخذ وقتا طويلا في قراءتها.

وكان لانصراف الرافعي لكتابة هذا اللون من القصة وهو القصة القصيرة هو الغالب والمعتاد عند كثير من أدباء وكتّاب تلك المرحلة، حيث كانت القصة القصيرة هي أنسب القوالب الأدبية استجابة لحاجة العصر وظروف المجتمع.

حيث كانت القصة القصيرة في هذه الفترة قد "استجابت في سرعة نموها، وتشكل ملامحها، واتضاح سماتها، لكل ما كان لتلك الفترة من مؤثرات اجتماعية وفكرية

(١) تأملات في أدب الرافعي. وليد عبد الماجد كساب.طبعة دار البشير للثقافة والعلوم.الطبعة الأولي سنة ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦م ص ٢١.

(٢) مدخل لدراسة مصطفي صادق الرافعي. د عبد القادر القط .طبعة الشركة العالمية للنشر لونجمان مصر.سنة ١٩٩٤ م ص ١٣.

وأدبية علي السواء. وأنها كانت من أشد الفنون الأدبية استجابة لروح الفترة وارتباطا بمتطلباتها، وانها فاقت في ذلك الشعر "(١).

وكان "فن القصة في هذه الفترة قد خطا خطوات واضحة، واتجه اتجاهات مختلفة، ولكنه تدرج آخر الأمر بين طرفين متقابلين: أولهما محافظ يستلهم التراث ويتأثر ببعض قوالبه، وآخرهما تجديدي يحاكي قصص الغرب وينسج علي منواله"(٢).

وكانت جُلّ قصص الرافعي بلا استثناء من النوع الأول الذي يستهلهم روح التراث ويتأثر به، مما دفع البعض إلي التقليل من شأن قصص الرافعي ومكانتها الفنية ووصفها بأنها أقرب إلي المقال من القصة الفنية، وهؤلاء هم الذين نظروا إلي القصة الفنية الغربية الحديثة وفُتنوا بها، وجعلوا منها مثلهم الأعلىٰ للقصة الحديثة.

وربما يكون الذي دفعهم إلي توجيه تلك التهمة إلي قصص الرافعي هو غيرته وحرصه الشديد علي التراث وتمسكه به في أدبه، إضافة إلي ذاتيته المفرطة التي كانت تفرض نفسها عليه أثناء كتابته للقصة. فهو لم "يستطع كتابة القصة مجردة من ذاته وفلسفته، ومن ثم تمسك بما كتبه من قصص شابتها فنية المقال، وهو النوع الذي يمكن أن يطلق عليه (السرد المهجن) الذي يجمع بين عناصر المقال والقصة معا، ولا يلتزم بالقالب القصصي المتعارف عليه فنيًا "(٣).

---

(١) الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلي قيام الحرب العالمية الكبرىٰ الثانية . د أحمد هيكل. طبعة دار المعارف. الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣ م ص ٣٩ .

(٢) تطور الأدب الحديث في مصر. د أحمد هيكل .طبعة دار المعارف. الطبعة السابعة ص ١٨٢ .

(٣) تأملات في أدب الرافعي ص ١٩ .

غير أن الرافعي وإن كان لا يلتزم في قصصه ببعض القواعد التي يوصي بها النقاد وأساتذة الأدب دائما فإن ذلك أيضا لا ينبغي أن يُعزي إلي جهل الرافعي بتلك القواعد الفنية أو رفضه لها، فما كان أيسر أن يهتدي إليها أو يعرفها عن أراد، ولكن ذلك يرجع إلي أن غايته من القصة حين يعالجها ليست هي غاية القصّاص التقليديين من التسلية أحيانا، أو مجرد نقل شرائح من الواقع أحيانا أخري، فللرافعي فنه القصصي الخاص به الذي ينبغي أن ندرسه دراسة خالصة له وحده، تحدد ملامحه وتجلو معالمه "(١).

إذن فقد اختار الرافعي أسلوبه في كتابة القصة عن قناعة، وترك أساليب القصة المصطلح عليها رغبة عنها لا عجزًا في أن يأتي بمثلها، بل يمكنه أن يكتب أحسن مما كان يكتبه معاصروه.

وغالبية قصص الرافعي إن لم تكن جميعها قد استكملت عناصر وشروط وخصائص القصة الفنية الحديثة، من فكرة البداية، إلي تنامي الحدث، إلي العقدة، إلي لحظة التنوير، إلي الإشارة إلي الحل في بعض القصص، ولكن كل ذلك كان يأتي بأسلوب الرافعي المميز وطريقته الفريدة الخاصة.

والمتصفح لكتاب"وحي القلم"للرافعي يجد فيه عددًا من العناوين التي تتضمن كلمة (القصة) مثل قصة زواج وفلسفة المهر، وذيل القصة وفلسفة المال، وقصة أب، وقصة الأيدي المتوضئة، والسطر الأخير من القصة. مما يدل ذلك التصريح بهذا المصطلح الأدبي علي أن توجه الرافعي نحو كتابة القصة بمفهومها الحديث واضح وصريح.

(١) القضايا الفنية والفكرية في أدب الرافعي ج ٢ ص ٤٤٢.

وكان للرافعي منهجًا وأسلوبًا خاصًا به في كتابة القصة يوضحه صاحبه العريان في قوله: "وطريقة الرافعي في كتابة قصصه غريبة، وغايته منها غير غاية القُصّاص، فالقصة عنده لا تعدو أن تكون مقالة من مقالاته في أسلوب جديد، فهو لا يفكر في الحادثة أول ما يفكر، ولكن في الحكمة والمغزىٰ والحديث والمذهب الأدبي، ثم تأتي الحادثة بعد ذلك، فكان إذا همّ أن ينشئ قصة من القصص جعل همه الأول أن يفكر في الحكمة التي يريد أن يلقيها علي ألسنة التاريخ علي طريقته في إنشاء المقالات، فإذا اجتمعت له عناصر الموضوع وانتهي في تحديد الفكرة إلي ما يريد كان بذلك قد انتهي إلي موضوعه، فليس له إلا أن يفكر في أسلوب الأداء، وسواء عليه بعد ذلك أن يؤدي موضوعه علي طريقة المقالة أو علي طريقة القصة، فكلاهما ينتهيان إلي هدف واحد، فإذا اختار أن تكون قصة تناول كتابا من كتب التراجم الكثيرة بين يديه فيقرأ منها ما يتفق، حتي يعثر باسم من أعلام التاريخ، فيدرس تاريخه وبيئته، وخلانه ومجالسه، ثم يصطنع من ذلك قصة صغيرة يجعلها كالبدء والختام لموضوعه الذي أعده من قبل، وإنه ليُلهم أحيانا ويوفق توفيقا عجيبا، حتي تأتي القصة وكأنها بنتُ التاريخ، وما للتاريخ فيها إلا نادرة يرويها في سطور، أو إلا أسماء الرجال "(١).

وكانت أغلب قصص الرافعي علي هذا المذهب والاتجاه التاريخي "علي أن لكل قصة من هذه القصص أو لأكثرها أصلا يستند إليه من رواية في التاريخ أو خبر مهمل في زاوية لا يتنبه له إلا من كان له مثل طبيعة الرافعي الفنية وإحساسه ويقظته، وكان من أهم ما أعانه علي ذلك هو صلته الروحية بهذا الماضي، وشعوره بالحياة فيه كأنه من أهله ومن ناسه، فإن له بجانب كل حادثة وكل خبر من أخبار ذلك الماضي قلبا

(١) حياة الرافعي ص ٢٥٤ .

ينبض كأن له فيه ذكري حية من ذكرياته تصل بين ماضيه وحاضره، فما يقرؤه تاريخا كان وانطوت أيامه، ولكنه يقرأ صفحة من ماضيه ما يزال يحس فيها إحساس الحي بين أهله، فما هو أهون عليه بعد أن يترجمها من لغة التاريخ إلي لغة الأحياء"(١).

ومعظم قصص الرافعي – عصريا أو تاريخيا – يأخذ شكل الحلقات المسلسلة، التي قد تبلغ تسع حلقات كقصة (القلب المسكين) التي بلغت صفحاتها ستين صفحة، ومنها ما يبلغ ثلاث عشرة حلقة، وقد تكون أربع حلقات كقصة "العجوزان "محل الدراسة والبحث، وقد تقتصر علي حلقتين، وتكون الثانية غالبا تتمة للأولي، وكشفا عن بعض أسرارها ومعانيها، ولكنها لا تضيف جديدا إلي الحدث أو الشخصية، وقد تكون حلقة واحدة .

ومصادر القصة عنده هي الواقع أو التاريخ، مضافا إليها الخيال والفن، فأما الواقع فإنه لم يكن يشاهد حدثا فيرويه أو يعرف حكاية فيقصها، كلا ! ولكنه كان يتأمل بعض وقائع الحياة فيحس ما فيها من غرابة أو مفارقة، أو يدرك ما لها من غاية ومعني"(٢).

ويمكن القول بأن قصص الرافعي لم تنتهج نهجا فنيا موحدًا بينها، فهناك قصص له تتحقق فيها الشروط الفنية للقصة بمقاييسها الاصطلاحية المعاصرة، وهي قليلة جدا كما ذكر هو نفسه في مقاله "لما لا أكتب القصة"، وهناك قصص من التراث، وهذه القصص لا تلتزم بالمقاييس المعاصرة للقصة، وهي لا تقل جمالا عن القصة المعاصرة، وهناك قصص تظهر عليها طابع المقال، وهناك مقالات يدخل فيها بعض أساليب القصة الفنية "(٣).

---

(١) حياة الرافعي ص ٢٥٥

(٢) القضايا الفنية والفكرية في أدب الرافعي ج٢ ص ٤٤٥ .

(٣) من مقال بعنوان من ملامح القصة عند الرافعي بمجلة الأدب الإسلامي لشمس الدين درمش المجلد الحادي عشر العدد الثالث والأربعون سنة ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م ص ١٤٥.

والمطّلع علىٰ أدب الرافعي يلمس فيه إرهاصات باكرة تُظهر حب واستئناسه بالتاريخ منذ نعومة أظفاره، مما دفعه ذلك دفعًا إلي استلهام ذلك التاريخ المجيد في كتاباته القصصية، ومحاولة إسقاط ذلك التاريخ علي أحداث عصره وقضايا أمته .

والبديع في كتابات الرافعي القصصية التاريخية كما يذكر العريان "قدرته علي أن يعيش في كل عصر من عصور التاريخ، فيحس إحساسه ويتكلم بلسان أهله، حتي لا يشك كثير من ممن يقرأ قصة من قصص الرافعي في أنها كلها صحيحة من الألف إلي الياء "(١).

فكان الرافعي مهموما ومشغولا بقضايا وطنه وأمته أيّمَا انشغال، أنساه نفسه وحياته وأسرته، "وعاش غريبا ومات غريبا، فكأنما كان الرافعي رجلا من رجال التاريخ، بعث في غير زمانه ليكون تاريخا حيا ينطق بالعبرة ويجمع بين تجارب الأجيال، يذكرُ الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد، ثم عاد إلي التاريخ بعد أن بلّغ رسالته "(٢).

وكان للرافعي في إنشائه القصص التاريخي طريقة فذة وفريدة، سماها البعض بطريقة (التفجير الذري للتاريخ) (٣).

بمعني أنّ الرافعي حين كان يتجه إلىٰ موضوع ما، وتتحدد لديه الفكرة أو الهدف، فإنه كان يقرأ كعادته بعض كتب التراث، وقد يصادف فيها عندئذ إشارة او نادرة تتصل بالموضوع الذي هو فيه، ومن هنا تبدأ عملية خلق إبداعي طريف، حيث يجد في هذه الإشارة أو النادرة التي قد لا تزيد عن بضع جمل، يجد فيها بذرة طيبة يستنبتها في خياله، فتورق وتترعرع وتتفرّع حتي تكون دوحة فارعة السياق، متماسكة الأغصان، وارفة الظلال.

---

(١) حياة الرافعي ص ٢٥٤ .

(٢) حياة الرافعي للعريان ص ١٧ .

(٣) القضايا الفكرية والفنية في أدب الرافعي جـ ٢ صـ ٤٤٦ .

وإنه كان يوفق في ذلك توفيقا عجيبًا حتي تأتي القصة وكأنها بنت التاريخ، وما التاريخ فيها إلا نادرة يرويها في سطور، أو إلا أسماء الرجال.

علىٰ أن البديع في ذلك هو قدرة الرافعي علىٰ أن يعيش بخياله في كل عصر من عصور التاريخ، فيحس إحساسه ويتكلم بلسان أهله حتي لا يشك كثير ممن يقرأ قصة من قصص الرافعي في أنها كلها صحيحة من الألف إلي الياء "(١).

أضف إلي ذلك أنّ تمكن الرافعي من ناصية اللغة،ومعرفته بخصائص الأساليب وتذوقه لأسرار البيان في كل عصر قد ساعده ذلك علي التمثل اللغوي الكامل للغة الأبطال في قصصه، فحين نستمع إلي أحاديثهم نشعر أنها لغة عصرهم بما لها من جلال وجمال، وما فيها من عبق التاريخ، وليست لغة العصر الذي نحياه.

وعلي ذلك فإن أكثر القصص التاريخي للرافعي هو إذن ليس تاريخا، بمعني أنه ليس منقولا من التاريخ، ولكن تاريخيته تنحصر في أن له بذرة تاريخية قد لا يهتدي إليها إلا القليل ممن استوعبوا التراث الأدبي اطلاعا ومعاينة وهضما.

وكانت القصة التاريخية عند الرافعي تلبس الثوب التاريخي، وهي حيثما وجدناها عنده كانت ذات دلالة اجتماعية وأهداف نقدية وإصلاحية، وليست مجرد صياغة أدبية للتاريخ، ولا تسجيلا لأحداثه بطريقة الحبكة القصصية كما كان يفعل غيره أثناء كتابتهم للقصص التاريخي.

وثمة فارق جوهري بين قراءة الأحداث التاريخية في منابعها بين كتب التاريخ الأصيلة وبين قراءتها في عمل أدبي فني كقصة أو مسرحية،وهو أن قراءة الأحداث التاريخية في كتب التاريخ يقف بالقارئ علي معرفة تلك الأحداث والإلمام بها فقط في

(١) القضايا الفكرية والفنية في أدب الرافعي جـ٢ صـ ٤٤٧ .

ذهنه وفي ذاكرته بصورة تقريرية جامدة، بينما قراءتها ومطالعتها في عمل أدبي فني مثل القصة والمسرحية إنما يأخذ ذلك بالقارئ ويجعله يعيش ويحيا تلك الأحداث معايشة وجدانية صادقة بشعوره وبخياله، في أزمانها البعيدة وأماكنها السحيقة، يستنشق من خلالها عبير جمالها، وينفض غبار معاركها، يستمع إلي صيحات نصر الأبطال الفاتحين، وصرخات الأعداء الفارين، ويشعر وكأنه واحد من أبطال هذا الزمان الغابر البعيد .

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا وجود بعض المقالات في كتاب وحي القلم هي أشبه بالقصة، لكنها تفتقد إلي عناصر القصة الفنية، ولعل وجود بعض الشخصيات بتلك المقالات والتي أدار الرافعي علي ألسنتها الأفكار التي تضمنتها تلك المقالات هو ما جعلها أشبه بالقصة، لكنها في الحقيقة لا ترقي إلي درجة القصة الأدبية، ومن نماذج تلك المقالات عند الرافعي (أحلام في الشارع، وعربة اللقطاء، وقصة أب، وموت أم، وقرآن الفجر، ومقال س-أ-ع).

وعناصر القصة واضحة في المقالات السابقة، لكنها غير مستوفاة، فلا عقدة، ولا حل، ولا تطور ولا نمو للأحداث، وأكثر ما جاء علي لسان الشخصيات في تلك المقالات يبدو أن الرافعي هو الذي يقوله بوضوح.

ومن قصص الرافعي أو مقالاته القصصية التي تدخل ضمن"التناص التاريخي" ما يدخل إذا ما صنِّف تحت الاتجاه الاجتماعي وإجمالاً فالقصص التي استند فيها إلىٰ المصادر التاريخية - كما بدت لي - من كتابه وحي القلم هي: اليمامتان، وسمو الحب. وقصة زواج وفلسفة المهر، وبقيتها في ذيل القصة وفلسفة المال، وزوجة إمام، وبقيتها في زوجة إمام بقية الخير، و قبح جميل.، ورؤيا في السماء، وبنته الصغيرة،

والانتحار، والسمكة، وبقيتها في الزاهدان،وإبليس يعلم، والدنيا والدرهم الشيطان.وتاريخ يتكلم،و الأسد، وأمراء للبيع .

وقد استفتح كتاب وحي القلم بقصة تاريخية كتبها الرافعي وهي قصة"اليمامتان"، وهناك من تناولها بالدراسة والبحث تحت عنوان "الجوانب الموضوعية والفنية في قصة اليمامتان للرافعي تحليل ونقد، وكان آخر ما كتبه الرافعي من قصص تاريخي هي قصة"أمراء للبيع"و التي كتبها ونشرها علي صفحات مجلة الرسالة قبيل وفاته بأيام قليلة.

وفي الصفحات التالية بحول الله تعالي نتناول دراسة تلك القصة التاريخية العظيمة بشيء من التفصيل والتحليل وما حوته من مضامين ورؤىٰ، وما بها من أدوات تشكيلية وخصائص جمالية علي النحو التالي.

المبحث الأول:الرؤية والمضمون في قصة "أمراء للبيع"

يتضمن هذا المبحث الحديث حول عدة عناصر وخصائص موضوعية منها ما يلي:

أولا: سرد مضمون القصة:

تدور أحداث تلك القصة حول حكي وسرد ثلاثة مواقف من المواقف التاريخية الإسلامية المجيدة المشرّفة لأئمة وشيوخ الإسلام في عصوره الزاهرة، الموقف الأول لشيخ الإسلام الإمام "بن دقيق العيد"، والآخرين لشيخ الإسلام وإمام عصره"العز بن عبد السلام"، وذلك في القرنين السادس والسابع الهجريين.

حيث يذكر الراوي في بداية القصة شجاعة وجرأة شيخ الإسلام"بن دقيق العيد"أثناء مخاطبته للسلطان وعدم التزلّف والتقرّب إليه ومنافقته بألقاب العظمة والتفخيم، ومناداته بما كان ينادي ويخاطب به عامة الناس دون خوف أو وجل، ثم يبين له العلة والحكمة من وراء ذلك الأمر بشيء من التوضيح والتفصيل داخل القصة.

ثم يخلص شيخ الإسلام"بن دقيق العيد"بعد ذلك لضرب وعرض نموذج صالح لرجل وعالم الدين الحق الشجاع الجريء الذي لا يخشي في الحق لومة لائم.

وهو لا يجد مثالا ولا نموذجا صالحا لهذا الأمر الجلل إلا في شخص شيخه وإمامه"العز بن عبد السلام"الذي عاش متمسكًا بالشرع الحنيف، وبالصدع بقولة الحق في أشدّ المواقف وأحلك الظروف السياسية في عصره. ويضرب في تلك القصة موقفين من مواقف الجرأة في الحق والتمسك برأي الشرع في حياة"العز بن عبد السلام"كادا أن يذهبا بحياته ويذيقانه أنكي أنواع البطش والانتقام.

الموقف الأول: أثناء مواجهته لسلطان الشام الملك الصالح "إسماعيل بن أيوب "عندما أراد أن يتحالف مع الصليبيين، ويبيع لهم السلاح، ويستعين بهم في حربه ضد أخيه الملك الصالح "نجم الدين بن أيوب "سلطان مصر، فخرج عليه"العز بن عبد السلام"، وحرّض عليه العامة، وأفتي بتحريم بيع السلاح للصليبين والاستعانة بهم في حروب المسلمين، الأمر الذي أثار غضب الملك الصالح إسماعيل بن أيوب، فأمر بخلعه من القضاء، ومنعه من الخطابة وحبسه، إلي أن خرج العز من محبسه ثم غادر إلي مصر.

الموقف الثاني: حينما أقام السلطان أيوب في يوم عيد عرضًا عسكريًا كبيرًا، استعرض فيه جنده وعسكره في القلعة، فصعد إليه الإمام العز بن عبد السلام في هيبة ووقار غير هائب أو متوجس، ونادي علي السلطان باسمه مجردا من أي لقب، وأمره بإبطال شرب المنكر في مصر، فأذعن السلطان له واستجاب لأمره علي الفور .

الموقف الثالث: حينما كان الإمام"العز بن عبد السلام"إلي مصر، وقرّبه الملك الصالح "نجم الدين أيوب "إليه وولّاه القضاء والخطابة في مسجد"عمرو بن العاص"، وما أن علم العز بتسلط أمراء المماليك علي الشعب وتعاليهم علي الرعية حتي أصدر فتواه الغير مسبوقة بأنهم في حكم العبيد، وبحتمية بيعهم وتحريرهم من الرق، وردّ مال بيعهم إلي بيت مال المسلمين. الأمر الذي أثار حفيظة وغضب أمراء المماليك ومعهم نائب السلطان المملوك، وحاولوا بشتي الطرق ترغيبًا وترهيبًا إثناء الإمام "العز بن عبد السلام"عن رأيه وعدوله عن فتواه بحقهم دون جدوي، ولكم ظلّ الإمام "العز بن عبد السلام"متمسكًا برأيه الشجاع الجريء المستند إلي قوة الشرع وسلطة الدين حتي حقّق له السلطان ما أراد، وحقّق ما نادي به،وباع أمراء المماليك في

مزاد علني كبير، حضره السلطان، وأداره الإمام "العز بن عبد السلام " بنفسه، واشتراهم السلطان بأغلىٰ الأثمان، وردّ أموال بيعهم إلي بيت مال المسلمين.

ثانيًا: نوع القصة:

قصة أمراء للبيع هي قصة تاريخية إسلامية، كتبها الرافعي ونشرها علي صفحات مجلة الرسالة قبيل وفاته بأيام قليلة في سنة ١٩٣٧ م، تناول فيها سرد عدة مواقف من مواقف وأحداث تاريخنا الإسلامي المجيد، لعالمين مخلصين عُرفا بشجاعتهما وجرأتهما في مواجهة جور السلاطين وتسلط الحكام ، وعدم تهيبهما من الجهر بكلمة الحق وحكم الشرع مهما كان الثمن والجزاء، وهما: شيخ الإسلام"تقي الدين بن مجد الدين بن دقيق العيد"ت ٧٠٢ هـ (١)، وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ت ٦٦٠ هـ (٢).

---

(١) هو مُحَمَّد بن عَليّ بن وهب بن مُطِيع بن أبي الطَّاعَة الْقشيرِي أَبُو الْفَتْح تَقِيّ الدّين ولد الشَّيْخ الإِمَام الْقدْوَة مجد الدّين بن دَقِيق الْعِيد شيخ الْإِسْلَام الْحَافِظ الزَّاهِد الْوَرع الناسك الْمُجْتَهد الْمُطلق ذُو الْخِبْرَة التَّامَّة بعلوم الشَّرِيعَة الْجَامِع بَين الْعلم وَالدّين والسالك سَبِيل السَّادة الأقدمين أكمل الْمُتَأَخِّرين وبحر الْعلم الَّذِي لَا تكدره الدلاء ومعدن الْفضل الَّذِي لقاصده مِنْهُ مَا يَشَاء وَإِمَام الْمُتَأَخِّرين. ينظر طبقات الشافعية الكبرىٰ لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ جـ ٩ صـ ٢٠٧ .

(٢) هو شيخ الْإِسْلَام وَالْمُسْلِمين وَأحد الْأَئِمَّة الْأَعْلَام سُلْطَان الْعلمَاء إِمَام عصره بِلَا مدافعة الْقَائِم بِالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر فِي زَمَانه المطلع علىٰ حقائق الشَّرِيعَة وغوامضها الْعَارِف بمقاصدها لم ير مثل نَفسه وَلَا رأىٰ من رَآهُ مثله علما وورعا وقياما فِي الْحق وشجاعة وَقُوَّة جنان وسلاطة لِسَان، ولد سنة سبع أَو سنة ثَمَان وَسبعين وَخَمْسمِائة وتوفي سنة ستمائة وستين من الهجرة. طبقات الشافعية الكبرىٰ لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ جـ ٨ صـ ٢٠٩ .

وجاءت القصة علىٰ لسان راو هو الشيخ تاج الدين محمد بن علي (ت ٧١٧ هـ) الملقب بـ طوير الليل. (١).

ثالثًا: الباعث علي كتابة القصة:

يبدو لنا أن الباعث علي كتابة الرافعي لهذه القصة التاريخية وغيرها من القصص التاريخية التي تحوي بين طياتها العديد من الدروس والقيم الرفيعة النافعة لأبناء أمته هو إيمانه بخطورة رسالة الكاتب والأديب في الحياة، ودوره الكبير في إصلاح ما فسد في بيئته ومجتمعه، فقد كان الرافعي يعي جيدًا أنّ عليه رسالة ينبغي أن يؤديها بين أدباء وأبناء جيله، وأنّ له غاية أخري هو عليها أقدر وبها أجدر، فجعل الهدف الذي يسعي إليه أن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال، وأن ينفخ في هذه اللغة روحا من روحه، يردها إلي مكانها ويرد عنها، فلا يجترئ عليها مجترئ، ولا ينال منها نائل، ولا يتندر بها ساخر، إلا انبري له يبدد أوهامه ويكشف دخيلته، بل كان يري نفسه رسولا بعث للحافظ علي تاريخ الأمة ولغتها، وابتعاث ماضيها المزهر المجيد". (٢).

فكان الهدف لدي الرافعي من وراء كتابة تلك القصص رغبته في أن يصوغ المجتمع المصري والأمة صياغة إسلامية حقيقية، وذلك بإبراز القيم السامية والمثل العليا متجسدة في رجال مثّلوها وعملوا لها، فدانت لهم الأيام وشهد لهم التاريخ.

---

(١) هو مُحَمَّد بن عَليّ البار نباري الملقب طوير اللَّيْل الشَّيْخ تَاج الدّين أحد أذكياء الزَّمَان برع فقها وعلما وأصولا ومنطقا وَقَرَأَ المعقولات علىٰ شَارِح الْمَحْصُول الشَّيْخ شمس الدّين الْأَصْبَهَانِيّ مولده سنة أَربع وَخمسين وسِتمِائَة توفّي سنة سبع عشرَة وَسَبْعمائة بِالْقَاهِرَةِ. طبقات الشافعية الكبرىٰ جـ ٩ صـ ٢٤٩ .

(٢) حياة الرافعي ص ٧١ .

رابعاً: أحداث القصة:

تبدأ أحداث القصة بعقدة روحية تمسّ قلوب المسلمين عامة في مشارق الأرض ومغاربها، ألا وهي عقدة انعدام وافتقاد النموذج الصالح السليم لرجل الدين الحق، الجريء القوي، الذي يجهر بالحق،ولا يخشي في الله لومة لائم، مهما كلفه ذلك من تضحيات جسام، وسط تكميم الأفواه، وانخراس ألسنة العلماء والفقهاء فيما يتعلق بمصير الأمة وقضاياها المصيرية المختلفة خوف البطش والتنكيل بهم .

والرافعي وهو الكاتب المسلم الحر، الغيور علي دينه وعروبته، الحريص علي أمته أن تعيش وتظل محروسة ومحفوظة بسياج الشرع الحكيم، وأن تبقي محكومة بقانون وشرع الإسلام الحنيف مهما كلفها ذلك من تضحيات وآلام يبدو أنه كان يتأسف علي افتقاد ذلك النوع من النموذج الصالح للإنسان العالم الديني الحقيقي في عصره وبيئته.

فاستشعر الرافعي بحسّه الإسلامي الراقي، وبذائقته الأدبية المرهفة أبعاد تلك المشكلة التي تخيم علي أهل عصره وزمانه، فرجع إلي التاريخ الإسلامي المجيد يستخلص منه نماذج القدوة الصالحة والأسوة الحسنة، ليجعلها ماثلة وحاضرة أمام أجيال أمته في صورة فنية وأدبية رائقة تثير حماستهم وتؤثر في حياتهم. فيمّم الرافعي وجهته الأدبية صوب التاريخ المجيد واستحضر شخصية عالمين جليلين من علماء وأئمة الشرع الحكيم، كانا في عصرهما نموذجين صالحين لرجال الدين الصادقين الناصحين، وهما الإمام"بن دقيق العيد"، والإمام "العز بن عبد السلام".

بدأ الرافعي قصته بأسلوب الحكي علي لسان الراوي وهو الملقب بـ"طوير الليل"، وهو يحكي عن شيخه"بن دقيق العيد"،ويبيّن جرأته وشجاعته في مواجهة الحكّام، ومخاطبتهم بأسلوب يخلو من مظاهر التفخيم والتعظيم التي اعتادها وألفها

الحكّام من رعيتهم، فقد كان يخاطب السلطان بقوله "يا إنسان "وهو نفس اللقب الذي يخاطب به"بن دقيق العيد"عامة الناس وسوادهم، فلا هو يرتفع بأحد ولا يتدنّي بأحد، بل كان يسوّي بين الجميع في هذا الأمر، وكان لا يميز أحدًا بلقبٍ آخر غير "إنسان "سوي الأئمة والفقهاء، وكان يختار منهم من يراه جديرًا بهذا الأمر ويناديه به، فكان لا ينادي أحدًا بلقب يا شيخ إلا شيخ الإسلام "ابن الرفعة "(١)، وكان لا ينادي أحدًا بلقب"إمام"إلا"علاء الدين بن الباجي "(٢).

(١) هو أَحْمد بن مُحَمَّد البرتي بِكَسْر الْبَاء الْمُوَحدَة وَسُكُون الرَّاء وَبعدهَا تَاء ثَالِثَة الْحُرُوف القَاضِي أَبُو الْعَبَّاس الْحَنَفِيّ الْفَقِيه الْحَافِظ الْحجَّة كَانَ دينا عفيفًا علىٰ مَذْهَب أهل الْعرَاق وَكَانَ من أَصْحَاب يحيىٰ بن أَكْثَم قَالَ الْخَطِيب كَانَ ثِقَة ثبتا يذكر بالصلاح وَالْعِبَادَة عَن الْعَلَاء بن صاعد قَالَ رَأَيْت النَّبِي صلىٰ الله عليه وسلم وَقد دخل عَلَيْهِ القَاضِي البرتي فَقَامَ إِلَيْهِ وَصَافحهُ وَقَالَ مرْحَبًا بِالَّذِي يعْمل بسني وأثري قَالَ فَذَهَبت إِلَيْهِ وبشرته بالرؤيا وَثَّقَهُ الدَّارَقُطْنِيّ وَتُوفِّي سنة ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ. ينظر كتاب الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ الناشر: دار إحياء التراث – بيروت عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م جـ٧ صـ٢٥٧.

(٢) هو عَلَاء الدّين الْبَاجِيّ الشَّافِعِي عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن خطاب الشَّيْخ عَلَاء الدّين الْبَاجِيّ المغربي الأصولي الْمصْرِيّ ولد سنة إِحْدَىٰ وَثَلَاثِينَ وست مائَة وَتُوفِّي سنة أَربع عشرَة وَسبع مائَة اختصر كتاب الْمُحَرر وَكتاب عُلُوم الحَدِيث والمحصول فِي أُصُول الْفِقْه وَالْأَرْبَعِينَ وَكَانَ عُمْدَة فِي الْفَتْوَىٰ وروىٰ جُزْء ابْن حوصا عَن أبي الْعَبَّاس التلمساني وَتخرج بِهِ الْأَصْحَاب وَمِمَّنْ أَخذ عَنهُ العلامتان قَاضِي الْقُضَاة تَقِيّ الدّين السُّبْكِيّ وأثير الدّين أَبُو حَيَّان وَرَأَيْت قَاضِي الْقُضَاة تَقِيّ الدّين السُّبْكِيّ يعظمه كثيرا إِلَىٰ الْغَايَة ويثني عَلَيْهِ فضائله وَكَانَ دينا صينًا وقوراً. السابق جـ ٢١ صـ ٢٩٩.

هذا الأمر الذي أثار دهشة الراوي "طوير الليل"وسأل شيخه"بن دقيق العيد"عن الحكمة من ذلك الأمر الذي قد يجلب عليه السخط والعقاب من السلطان في حوار بينهما: (١)

"وقلت له يومًا: يا سيدي، أراك تخاطب السلطان بخطاب العامة؛ فإن علوتَ قلت: «يا إنسان»، وإن نزلتَ قلت: يا إنسان؛ أفلا يسخطه هذا منك وقد تذوَّق حلاوة ألفاظ الطاعة والخضوع، وخصه النفاق بكلمات هي ظل الكلمات التي يوصف الله بها، ثم جعله المُلْك إنسانًا بذاته في وجود ذاته، حتىٰ أصبح من غيره كالجبل والحصاة؛ يستويان في العنصر ويتباينان في القَدْر، وأقلُّه مهما قلَّ هو أكثرها مهما عظمت، ووجوده شيء ووجودها شيء آخر؟

فتبسَّم الشيخ وقال: يا ولدي، إيش هذا؟ إنّنا نفوس ألفاظ، والكلمة من قائلها هي بمعناها في نفسه لا بمعناها في نفسها؛ فما يحسن بحامل الشريعة أن ينطق بكلام يرده الشرع عليه؛ ولو نافق الدينُ لبطل أن يكون دينًا، ولو نافق العالِم الديني لكان كل منافق أشرف منه؛ فلطخةٌ في الثوب الأبيض ليست كلطخة في الثوب الأسود، والمنافق رجل مُغطًّىٰ في حياته، ولكن عالِم الدين رجل مكشوف في حياته لا مغطًّىٰ؛ فهو للهداية لا للتلبيس، وفيه معاني النور لا معاني الظلمة؛ وذاك يتصل بالدين من ناحية العمل، فإذا نافق فقد كذب؛ والعالم يتصل بالدين من ناحية العمل وناحية التبيين، فإذا نافق فقد كذب وغشَّ وخان".

حيث يكشف بن دقيق العيد في هذا الحوار أن قيمة ومنزلة المرء في نفسه وخُلقه، لا فيما يخلعه عليه الناس من ألقاب ومسميات، ثم نراه يبين قيمة ودور عالم الدين في

(١) وحي القلم للرافعي جـ ٣ صـ ٥٨.

تمسكه بالحق وبالشرع في جلّ أقواله وأفعاله، وألا يجامل أحدا مهما كان منصبه أو مكانته، علي حساب دينه وعلمه، وإلا صار بذلك النفاق أخسّ وأحدّ من أي منافق آخر.

(تعقيب وموازنة علي ما سبق)

يكشف لنا الحوار السابق الذي أجره الرافعي بين الراوي "طوير الليل ""وابن دقيق العيد"عن ثمّة فروق بين العالم الصادق والعالم المنافق نذكر منها ما يلي:

- العالم الصادق ثوبه أبيض مزهر، تشينه وتعيبه أي صغيرة يرتكبها صاحبه، بينما العالم المنافق ثوبه أسود مُوحش، لا تؤثر فيه صغائر ولا كبائر، فهو بطبيعته قذر وبذئ.

- العالم المنافق يظهر خلاف ما يبطن،فهو مغطي بثوب النفاق والرياء، بينما العالم الصادق ظاهره كباطنه، ما يقوله وما يفعله ترجمة وبيان لما في صدره وقلبه.

- العالم الحق مهمته ورسالته هداية الحق، وتبصريهم بنور الشرع الحكيم، بينما العالم المنافق منشغل بخداع الناس وإضلالهم وتلبيس وتعمية الحقائق عليهم.

ثم يترقّىٰ الرافعي بعد ذلك علي لسان"بن دقيق العيد"منوهًا بشأن العلماء الصادقين وإنزالهم منزلة عالية سامية تدنو من منزلة الأنبياء في قوله: "وما معنىٰ العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة في الناس دهرًا بعد دهر، ينطقون بكلمتها، ويقومون بحجتها، ويأخذون من أخلاقها كما تأخذ المرآة النور، تحويه في نفسها وتلقيه علىٰ غيرها، فهي أداةٌ لإظهاره وإظهار جماله معًا. (١) "

(١) وحي القلم جـ٣ صـ ٦٠.

فهو يرتفع بعلماء الشرع المخلصين الصادقين إلي منزلة ومكانة الأنبياء، يقومون في الحياة بدورهم، ويهتدون ويهدون بهديهم وبسنتهم إلي شرع الله تعالي وصراطه المستقيم.

وهو متأثر في هذا المعني الشريف بقول النبي صلي الله عليه وسلم "إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ "(١).

ثم نراه يفرق هنا بين علماء الحق وعلماء السوء علىٰ نحوٍ بليغٍ صاغه في قالب شفيف من الحكمة التي تنضح بها كتاباته وينز بها قلمه، يقول الرافعي في قالب حواري:" أتدري يا ولدي ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء وكلهم آخذ من نور واحد لا يختلف؟! إن أولئك في أخالقهم كاللوح من البلور؛ يظهر النور نفسه فيه ويظهر حقيقته البلورية؛ وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشب يظهر النور حقيقته الخشبية لا غير"(٢).

فالعالم الرباني المتصل بربه ثابت علىٰ مبادئه لا يتزعزع مهم اشتدت به العواصف والفتن،ولو جاءه الموج من كل مكان، "والرجل الديني لا تتحول أخلاقه ولا تتفاوت،ولا يجيء كل يوم من حوادث اليوم، فهو بأخلاقه كلها، لا يكون مرة ببعضها ومرة ببعضها الآخر، ولن تراه مع ذوي السلطان وأهل الحكم والنعمة كعالم السوء

(١) ينظر سنن الترمذي لمحمد بن عيسي بن الضحاك الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. ٥/ ٤٨

(٢) وحي القلم جـ ٣ ص ٦٠.

هذا الذي لو نطقت أفعاله لقالت لله بلسانه: هم يعطوني الدراهم والدنانير فأين دراهمك أنت ودنانيرك ؟ !".

ويؤكد علي هذا الفارق بين علماء الحق وعلماء السوء بخاصية التشبيه البليغ، حيث شبه علماء الحق باللوح من البلور، بينما شبه علماء السوء باللوح من الخشب، حيث إن النوع الأول أصله نوراني مبين، بينما الآخر أصله طيني مهين.

ثم يعلو صوت الحكمة مرة أخرىٰ عند الرافعي فيصوغ من التجربة التاريخية مثالا حكيما تتقاصر أمامه التشبيهات، فنراه يقول علىٰ لسان ابن دقيق العيد: "إن الدينار يا ولدي إذا كان صحيحًا في أحد وجهيه دون الآخر، أو في بعضه دون بعضه، فهو زائف كله؛ وأهل الحكم والجاه حين يتعاملون مع هؤلاء يتعاملون مع قوة الهضم فيهم، فينزلون بذلك منزلة البهائم؛ تقدِّم أعمالها لتأخذ لبطونها، والبطن الآكل في العالم السوء يأكل دين العالم فيما يأكله، فإذا رأيت لعلماء السوء وقاراً فهو البلادة، أو رقة فسمها الضعف، أو محاسنة فقل إنها النفاق، أو سكوتـًا عن الظلم فتلك رشوة يأكلون بها".

فهو يذمّ عالم السوء المنافق، الذي يتاجر بعلمه وبفقهه، ويدور بعلمه وبفقهه حيثما تكون منفعته الدنيوية الدنيئة ونفعه المادي البغيض، ويتلون مع كل فريق وصنف، فلا يثبت علي حال، ولا يستقيم علي منهج، فهو كالدينار الفاسد الرديء، ويأكل علي كل مائدة، كما تأكل الأنعام.

وبعد هذا التمهيد والتأصيل من الرافعي لتوضيح حقيقة وقيمة عالم الدين الحق الصادق والتفريق بينه وبين علماء السوء والنفاق، يشرع الرافعي بعد ذلك إلي ضرب المثل لذلك النموذج الفذّ الفريد من هذا الصنف من العلماء الورعين المتقين، في

شخص الإمام "العز بن عبد السلام "لتبدأ أحداث القصة وصراعاتها في شخص"العز بن عبد السلام"مع حكام وسلاطين عصره.

(مواقف وأحداث القصة)

تدور القصة حول تصوير ثلاثة مواقف تاريخية في حياة الإمام "العز بن عبد السلام" صنعت منه تلك المواقف وغيرها نموذجا فريدًا لعالم الدين الحق الذي يستمسك بالشرع في أصعب المواقف وأشد الأزمات، ويصدع بقولة الحق في وجه الحكام والسلاطين غير هيّاب ولا مبالٍ بسطوتهم ولا ببطشهم.

وقدّم الرافعي لتلك المواقف التاريخية العزيزة في حياة الإمام"العز بن عبد السلام"برسم صورة مثالية وبطولية لشخصية الإمام"العز بن عبد السلام"، تكشف عن طبيعته الإيمانية الفريدة وصفاته الحميدة التي تبرز تأصّل فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه، وذلك في قوله علي لسان"بن دقيق العيد": "وما رأيت مثل شيخي سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فلقد كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيئًا تصنعه طبيعته كما يصنع جسمه الحياة، فلا يبالي هلك فيه أو عاش ؛ إذ هو في الدم كالقلب، لا تناله يد صاحبه ولا يد غيره ؛ ولم يتعلق بمال ولا جاه ولا ترف ولا نعيم، فكان تجرده من أوهام القوة لا تغلب ؛ وانتزع خوف الدنيا من قلبه فغمرته الروح السماوية التي تخيف كل شيء ولا تخاف ؛ وكان بهذه الروح كأنه تحويل وتبديل في طباع الناس، حتىٰ قال الملك الظاهر بيبرس وقد رأىٰ كثرة الخلْق في جنازته حين مرَّت تحت القلعة: الآن استقر أمري في الملك، فلو أن هذا الشيخ دعا الناس إلىٰ الخروج علي لانتزع مني المملكة"(١).

(١) وحي القلم جـ ٣ ص ٦١ .

فكما نري في تلك اللوحة الفنية صورة مشرقة لشخصية الإمام"العز بن عبد السلام"، ومدي تأصّل وثبات فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفسه، تأصلا وتجذّرا صار طبيعة وسجية بنفسه وروحه، مثل وجود القلب في الجسد، فلا هو يستطيع تغيير تلك الطبيعة من نفسه تحت ضعف بشري، ولا يستطيع غيره أن ينال من تلك الطبيعة فيه تحت أثر تهديد حاكم أو ترهيب سلطان.

وكشف كذلك عن مدي صفاء وقوة نفسه وتجردها من حظوظ الدنيا وأهواء النفس، وما ساعده علي ذلك أنه استطاع أن ينتزع تلك الحظوظ البشرية من قلبه، مما جعل روح الدين الغالبة وقوة الشرع الحاكمة تسكن تلك النفس الأبية، وتملأ جنباتها بالقوة والثبات واليقين.

وبعد أن رسم الرافعي تلك الصورة المضيئة المشرقة لشخصية الإمام "العز بن عبد السلام "انتقل بعد ذلك إلي الحديث عن سرد وحكي الموقف الأول من المواقف التاريخية الثلاثة التي حوتها قصة "أمراء للبيع "الأول هو موقفه ضد السلطان "الصالح إسماعيل بن أيوب "سلطان الشام الذي سوّلت له نفسه المريضة أن يبيع السلاح للصليبيين ويستعين بهم بعد ذلك في حروبه ضد أخيه "نجم الديم بن أيوب "سلطان مصر.

هذا الموقف الغريب المخالف للدين وللشرع استفزّ وأغضب الإمام "العز بن عبد السلام "ودفعه إلي استنكار ورفض هذا الأمر جهرًا وعلانية، حيث أسقط لقب الصالح من خطبة الجمعة، يقول الرافعي: "وكان سلطانه في دمشق الصالح إسماعيل، فاستنجد بالإفرنج علىٰ الملك نجم الدين أيوب سلطان مصر ؛ فغضب الشيخ وأسقط اسم الصالح من الخطبة وخرج مهاجراً، فأتبعه الصالح بعض خواصه يتلطف به ويقول له: ما بينك وبين أن تعود إلىٰ مناصبك وما كنت عليه وأكثر مما كنت عليه

إلا أن تتخشع للسلطان وتقبل يده. فقال له الشيخ: يا مسكين ! أنا لا أرضىٰ أن يقبل السلطان يدي ! أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ". (١)

وهكذا قال سلطان العلماء كلمة الحق عند السلطان الجائر الصالح إسماعيل، فما كان من الصالح إسماعيل إلا أن عزله عن منصبه في القضاء، ومنعه من الخطابة، ثم أمر باعتقاله وحبسه، وبقي العالم الجليل مدة في السجن، ثم أُخرج من سجنه ولكنه مُنع من الكلام والتدريس والخطابة، فرحل الإمام العز من دمشق إلىٰ بيت المقدس ليجد فرصة ليعلم الناس هناك بدلًا من السكوت في دمشق، وأقام بها مدة، ولكنه فوجئ بالصالح إسماعيل يأتي إلىٰ بيت المقدس ومعه ملوك الصليبيين وجيوشهم وهم يقصدون مصر لاحتلالها، وأرسل الصالح إسماعيل أحد أتباعه إلىٰ الشيخ العز بن عبد السلام، وكان متلطفًا له غاية التلطف، بل ووعده بالعودة إلىٰ كل مناصبه بشرط أن يترضىٰ الصالح إسماعيل، ويعتذر له، بشرط ألا يتكلم في أمور السياسة، وإلا اعتقله.

وذهب رسول الصالح إسماعيل إلىٰ العز بن عبد السلام وقال له: بينك وبين أن تعود إلىٰ مناصبك وما كنت عليه، وزيادة، أن تنكسر للسلطان، وتُقبل يده لا غير.

فرد عليه العز بن عبد السلام في شجاعة وعزة متناهية قائلًا: "والله يا مسكين، ما أرضاه أن يُقبل يدي، فضلًا أن أقبل يده، يا قوم أنتم في واد، وأنا في واد، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به". (٢)

---

(١) وحي القلم ج ٣ ص ٦١.

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه – مصر الطبعة: الأولىٰ ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م ج ٢ ص ١٦٢ . وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح تحقيق محمود الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م ج ٧ ص ٥٢٣

وهذا هو الموقف الأول للإمام "العز بن عبد السلام "الذي أظهر مدي قوة إيمانه وتمسكه بالحق في مواجهة سلطانه الذي يتحالف مع أعداء دينه من أجل الوصول إلي تحقيق مطامعه الشخصية الرخيصة علي حساب دينه وأمته.

وقد كشف هذا الموقف التاريخي العظيم عن سمات في شخصية الإمام العز بن عبد السلام منها:

- قوة الإمام العز بن عبد السلام إزاء المواقف الكبيرة وعدم تهيبه من عواقب المواجهة مع السلطان الصالح.

- الكشف عن أهمية دور العلماء والفقهاء إزاء قضايا الأمة وأحداث المجتمع.

- حاجة الحكام والسلاطين إلي وجود العلماء والمصلحين في دائرة حكمهم من أجل استشارتهم والاستئناس بآرائهم فيما يواجهون من قضايا وتحديات.

ثم ينتقل الرافعي بعد ذلك في قصته إلي تصوير الموقف التاريخي الثاني للإمام"العز بن عبد السلام"والذي تقع أحداثه علي أرض مصر المحروسة – حفظها الله وحفظ أهلها – وذلك بعد أن قدم إليها سنة ٦٣٩ م بعد رحيله عن الشام إثر خلافه وصدامه السابق مع سلطان الشام الصالح إسماعيل.

وقدّم الرافعي لذلك الموقف بإبراز مكانة الإمام"العز بن عبد السلام"ومنزلته العالية عند سلطان مصر"نجم الدين بن أيوب"ليخلص بعد ذلك إلي الحديث عن مضمون الموقف وأحداثه.

فما أن قدم الإمام العز بن عبد السلام إلي مصر حتي أكرمه السلطان نجم الدين أيوب سلطان مصر وقرّبه إليه وأنزله منزلة كبيرة بين علماء وفقهاء مصر، وذلك بعد أن أسند إليه مهمة الخطابة والقضاء في مصر، يقول الرافعي:

"ثم قدم إلىٰ مصر في سنة ٦٣٩، فأقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب واحتفي به وولاّه مهمة الخطابة والقضاء في مصر، وكان أيوب ملكـًا شديد البأس، لا يجسر أحد أن يخاطبه إلا مجيبا، ولا يتكلم أحد بحضرته ابتداء ؛ وقد جمع من المماليك الترك ما لم يجتمع مثله لغيره من أهل بيته، حتىٰ كان أكثر أمراء عسكره منهم، وهم معروفون بالخشونة والبأس والفظاظة والاستهانة بكل أمر ؛ فلما كان يوم العيد صعد إليه الشيخ وهو يعرض الجند ويظهر ملكه وسطوته والأمراء يقبلون الأرض بين يديه ؛ فناداه الشيخ بأعلىٰ صوته ؛ ليسمع هذا الملأ العظيم: يا أيوب ! ثم أمره بإبطال منكرٍ انتهىٰ إلىٰ علمه في حانة تباع فيها الخمر ؛ فرسم السلطان لوقته بإبطال الحانة واعتذر إليه "(١).

بيّن الرافعي في هذا الموقف مكانة الإمام العز بن عبد السلام ومنزلته عند سلطان مصر نجم الدين أيوب، تلك المكانة والقرب من السلطان لم تؤثر في نفس الإمام العز بن عبد السلام ولم ينل الموقف شيئا من شخصيته ضعفًا أو استكانة، وإنما زاده ذلك الأمر إيمانا ويقينا بثقل المهمة وجسامة المسؤولية الملقاة علي عاتقه، فاستشعر عظم تلك المسؤولية والأمانة في حضرة السلطان القوي وحاشيته المستبدة، حيث أضفي الرافعي علي السلطان وحاشيته من الأمراء المماليك من صفات القوة والبطش وشدة البأس والاستهانة بأي شيء ما يجعل من بحضرتهم من العلماء والفقهاء في موقف الخوف والذعر من أثر سطوتهم وبطشهم .

وتتطور أحداث ذلك الموقف المهيب داخل القصة ويبدأ الصراع محتدمًا بين السلطان نجم الدين أيوب والإمام العز بن عبد السلام في يوم العيد المشهود، اليوم

(١) وحي القلم جـ ٣ صـ ٦١.

الذي كان مخصصًا لعرض وحشد جند السلطان وعسكره حول قلعة السلطان، في مشهد استعراضي مهيب بغرض التباهي بكثرتهم وبقوتهم وتهديد أعدائه بهم.

والغريب في الموقف أن الإمام"العز بن عبد السلام"لم يرتعد ولم يتوجس إزاء هذا الموقف، ولم تساوره مشاعر الخوف والقلق من بطش السلطان وغروره في تلك اللحظة الفارقة.

وأمام مظاهر عظمة الملك وأُبّهة الحكم التي كان عليها السلطان أيوب في ذلك اليوم وإذعان وخضوع الناس جميعهم له من حوله، يصعد إليه الإمام"العز بن عبد السلام"متسلحًا بقوة الحق وثبات الإيمان، وينادي عليه باسمه مجردًا من كل مظاهر التفخيم والتعظيم التي كان قد اعتاد عليها السلطان من حاشيته ورعيته، ويأمره في عزة وشموخ وإباء لم يعهده السلطان من أحد من ذي قبل بتجريم وإبطال بيع المنكر الذي علم الإمام بتفشيه بمصر.

وتفاجأ السلطان أيوب بتلك الجرأة والجسارة الإيمانية الغير معهودة التي بدا عليها الإمام العز بن عبد السلام في ذلك الموقف المهيب، وكأنه قد سلّط علي رقبته سيفًا بتارًا صارمًا،لا يملك السلطان إزائه سوي الإذعان لذلك الأمر وتنفيذه دون مراجعة أو تسويف.

ثم تهدأ الأحداث داخل القصة بعد انتهاء لحظة التنوير داخل هذا الموقف بين الإمام العز بن عبد السلام والسلطان أيوب، والذي انتهي برضوخ السلطان لأمر الإمام العز بن عبد السلام وتحقيق مطلبه دون عقاب له أو اعتراض علي أمره.

وما أن انتهي الموقف وهدأت الأمور وعاد الإمام العز بن عبد السلام إلي داره سالمًا، وقد تطاير الخبر وانتشر بين العامة والخاصة ما جري بين الإمام والسلطان، وتناقلت الألسنة والأسماع تلك الواقعة بشيء من الإكبار والإعجاب والاستغراب .

وقد فزع الناس وهرعوا إلي بيت الإمام العز للاطمئنان عليه والوقوف علي معرفة حقيقة ونتائج هذا الموقف الغريب الذي لم يعهدوه من أحد من قبل .

وسارع أحد تلاميذ الإمام وهو الشيخ الباجي لمقابلته والاطمئنان عليه، وقد دار بينهما حوارٌ حول هذا الموقف، يقول الرافعي فيه علي لسان بن دقيق العيد: (١)

"فحدثني الباجي قال: سألت الشيخ بعد رجوعه من القلعة وقد شاع الخبر، فقلت: يا سيدي، كيف كانت الحال ؟قال: يا بني، رأيته في تلك العظمة فخشيت علىٰ نفسه أن يدخلها الغرور فتبطره فكان ما باديته به. قلت: أما خِفتَه ؟قال: يا بني، استحضرت هيبة الله تعالىٰ فكان السلطان أمامي كالقط".

يكشف لنا هذا الحوار عن مدي تعجب المحيطين بالإمام العز بن عبد السلام والمقربين إليه من هذا الموقف الجريء منه في حضرة السلطان أيوب، وعدم تهيبه أو رهبته من مواجهته بذلك الأمر في هذا اليوم الذي بدا فيه السلطان في أعنف مظاهر القوة والبطش والترهيب.

وبدا علىٰ تلاميذ الإمام العز القلق مما وقع منه اليوم أمام السلطان، مما حدا بأحدهم يسأله عن كيفية وعلة حدوث هذا الموقف العجيب منه دون خوف أو رهبة.

وبصدق العالم الرباني وبجرأة الداعي الحق إلي الله الذي لا يخشي في سبيله لومة لائم يعلّل الإمام"العز بن عبد السلام"ويبرر فعل هذا الموقف الكبير في حضرة السلطان أيوب، الذي أحاطت به وتجمعت له كل أسباب ووسائل السطوة والبطش في ذلك اليوم، من اصطفاف الجند بين يديه، واستعراض قوتهم وكثرتهم، ومن تصاغر الأمراء المماليك بين يديه، وهي مظاهر وأسباب كفيلة لأن تفتن السلطان

(١) وحي القلم جـ ٣ صـ ٦٢.

أيوب وتضله، وتملأ نفسه كبرًا وغرورا ومفاخرة، تنسيه آدميته وبشريته الضعيفة، مما حدا بالإمام"العز بن عبد السلام"ودفعه إلي محاولة إنقاذ السلطان أيوب من شر تلك الفتنة التي تملكته وأحاطت به، وأراد أن يبصره ويذكره بحقيقته وشخصه الضعيف حتي لا يأخذه غرور الملك وتتملكه فتنة الحكم، فنادي عليه باسمه مجردا من مظاهر التفخيم والتعظيم التي كانت تتناثر وتلقي علي سمعه من كل من حوله نفاقًا ورياءً.

وهنا يبدو حرص الإمام العز بن عبد السلام علي السلطان أيوب ومحبته له، وخوفه عليه من الفتنة والغرور التي قد ترديه وتفسده.

ثم يبين الرافعي بعد ذلك علي لسان الشيخ"العز بن عبد السلام"بشيءٍ من الاستطراد العلاقة الطبيعية المفترض أن تكون قائمة وموجودة بين العلماء والحكّام فيقول: "نحن يا ولدي مع هؤلاء كالمعنىٰ الذي يصحِّح معنًىٰ آخر، فإذا أمرناهم، فالذي يأمرهم فينا هو الشرع لا الإنسان، وهم قوم يرون لأنفسهم الحق في إسكات الكلمة الصحيحة أو طمسها أو تحريفها ؛ فما بُدُّ أن يُقابلوا من العلماء والصالحين بمن يرون لأنفسهم الحق في إنطاق هذه الكلمة وبيانها وتوضيحها ؛ فإذا كان ذلك فهَا هنا المعنىٰ بإزاء المعنىٰ ؛ فلا خوف ولا مبالاة ولا شأن للحياة والموت".

(موقف القصة الجوهري)

ينتقل الرافعي بعد ذلك إلي سرد الموقف الثالث والأخير في قصته "أمراء للبيع"، وهو الموقف الرئيس الذي بُنيت عليه القصة وسميت به، وهو الموقف الأصيل الذي يمثل مضمون القصة وحدثها الجوهري،وهو موقف تجرؤ وشجاعة الإمام"العز بن عبد السلام"بإصدار فتواه التاريخية الغير مسبوقة بملازمة واستمرار الرقّ للأمراء المماليك في مصر، وضرورة بيعهم حتىٰ يستردوا حريتهم، وردُّ ثمن بيعهم إلي بيت المال، وذلك بعد علم الإمام عز الدين بتسلطهم وبغيهم علي الرعية.

ورصد الرافعي ذلك الموقف التاريخي العظيم للإمام العز بن عبد السلام من خلال عدة صور ومواقف تكاملت مع بعضها البعض وتصاعدت أحداثها داخل القصة حتىٰ صنعت ذلك الموقف التاريخي العظيم للإمام العز بن عبد السلام، نذكر منها ما يلي:

- **الصورة الأولي: الباعث علي هذا الموقف.**

استهل الرافعي تصوير ذلك الموقف التاريخي للإمام بذكر الدافع والباعث علي هذا الموقف العظيم الذي صنعه الإمام العز بن عبد السلام، وهو استبداد وبغي الأمراء المماليك بمصر علي الرعية والناس، وتسلطهم عليهم بغير حق، حتي كثرت شكوي الرعية من هؤلاء المماليك ومن تسلطهم الدائم عليهم، وعدم مبالاة السلطان بشكوي الرعية من المماليك أو اتخاذ أي قرار ضدهم، الأمر الذي أثار حفيظة وغضب الإمام"العز بن عبد السلام"علي هؤلاء المماليك، ورفضه لتسلطهم علي الرعية، مما جعله يفكر ويديم النظر في حقيقة هؤلاء المماليك، لكي يعلم ويصل إلي حكم ونظرة الشرع فيهم، يقول الرافعي(١):

"قال الإمام تقي الدين: وطغىٰ الأمراء من المماليك وثقلت وطأتهم علىٰ الناس ؛ وحيثما وجدت القوة المسلطة المستبدة جعلت طغيانها واستبدادها أدبًا وشريعة ؛ إلا أن تقوم بإزائها قوة معنوية أقوىٰ منها ؛ ففكر شيخنا في هؤلاء الأمراء، وقال: إن خداع القوة الكاذبة لشعور الناس باب من الفساد ؛ إذ يحسبون كل حسن منها هو الحسن، وإن كان قبيحًا في ذاته ولا أقبح منه ؛ ويرون كل قبيح عندها هو القبيح، وإن كان حسنًا ولا أحسن منه. وقال: ما معنىٰ الإمارة والأمراء ؟ وإنما قوة الكل الكبير هي عماد الفرد الكبير، فلكل جزء من هذا الكل حقه وعمله ؛ وكان ينبغي أن تكون هذه

(١) وحي القلم جـ ٣ صـ ٦٣.

الإمارة أعمالاً نافعة قد كبرت وعظمت فاستحقت هذا اللقب بطبيعة فيها كطبيعة أن العشرة أكثر من الواحد، لا أهواء وشهوات ورذائل ومفاسد تتخذ لقبها في الضعفاء بطبيعة كطبيعة أن الوحش مفترس "(١).

بيّن الرافعي في تلك الفقرة الدافع والباعث الحقيقي الذي صنع هذا الموقف التاريخي، والذي تمثل في استبداد الأمراء المماليك بشئون الحكم، وتسلطهم علي الشعب والرعية في مصر، فكأنهم هم الذين جنوا علي أنفسهم بتسلطهم وتكبرهم علي الرعية.

ولربما كان هذا التسلط والتكبر من الأمراء هو بداية الخير والنجاة لهؤلاء المماليك، وإلا لظلوا علي حالتهم من العبودية والرق وهم لا يعلمون.

ونلحظ استطراد الرافعي في تلك الفقرة من خلال تفسيره لنظرة ورأي الإمام العز في سياسة المماليك في قوله: "وقال: إن خداع القوة..... الوحش مفترس". وهو أمر غالب وظاهر في قصص الرافعي، حيث كان يكثر من إيراد الشروح والتفسيرات في فقرات القصة بغية توصيل المعني وافيًا إلي المتلقي.

- الصورة الثانية: موقف الإمام العز من تسلط المماليك .

رفض الإمام"العزّ بن عبد السلام"سياسة هؤلاء المماليك المتسلطة علي الشعب، وقاوم غرورهم وتسلطهم علي الرعية، ولم يعبأ بما في أيديهم من قوة وسلطة ونفوذ، فذهب يديم النظر والفكر بعين وعقل الشرع الحكيم حتي يستطيع الخروج برأي حازم وبفتوي صارمة حيال هؤلاء المماليك، يقول الرافعي:

"وفكر الشيخ فهداه تفكيره إلىٰ أنّ هؤلاء الأمراء مماليك، فحكم الرقِّ مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، ويجب شرعًا بيعهم كما يباع الرقيق !وبلغهم ذلك

(١) وحي القلم جـ٣ صـ ٦٣.

فجزعوا له وعظُم فيه الخطب عليهم ؛ ثم احتدم الأمراء وأيقنوا أنهم بإزاء الشرع لا بإزاء القاضي ابن عبد السلام. وأفتىٰ الشيخ أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ولا طلاق ولا معاملة، وأنه لا يصحح لهم شيئًا من هذا حتىٰ يباعوا ويحصل عنقهم بطريق شرعي "(١).

اكتشف الإمام عز الدين بن عبد السلام أن الولايات العامة والإمارة والمناصب الكبرىٰ كلها للمماليك الذين اشتراهم"نجم الدين أيوب"قبل ذلك، ولذلك فهم في حكم الرقيق والعبيد، ولا يجوز لهم الولاية علىٰ الأحرار، فأصدر مباشرة فتواه بعدم جواز ولايتهم وعدم مشروعية حكمهم ؛ لأنهم من العبيد الذين كان قد جلبهم السلطان للاستعانة بهم في شئون القتال والحروب ، حتي إذا ما ساعدوه ووطّدُوا حكمه أنعم عليهم وأسند إليهم بعض الولايات والأعمال القيادية وهم ما يزالون يرزحون تحت أغلال العبودية والرق .

وهنا تبدو عبقرية ووعي عالم الدين الحق الذي ينظر إلي قضايا عصره ومجتمعه نظرة واعية وشاملة، ويحرص علي ألا يجعل من نفسه خصمًا ولا ندًا لمن أمامه، بل يجعله إزاء شرع ودين، لا يملك الخصم بعد الحُجّة إلا أن ينقاد لحكم الدين ويذعن لأمر الشرع الحكيم، وهذا ما ظهر من المماليك، ودفعهم إلي التريث وعدم الاندفاع أو التهور في مواجهة الإمام العز.

الصورة الثالثة : موقف المماليك من فتوي الإمام العز .

وما أن علم المماليك في مصر بما قام به الإمام العز بن عبد السلام من إصدار فتواه بحقهم، التي تتضمن الحكم برقِّهم وعبوديتهم، وعدم جواز قيامهم بحقوق الإنسان

(١) (وحي القلم جـ ٣ صـ ٦٤.

الحر حكم ومن بيع وشراء ونكاح وطلاق، ذهبوا إليه يسترضونه ويستميلونه من أجل العدول عن رأيه بحقهم، يقول الرافعي:

"وبلغهم ذلك فجزعُوا له وعظم فيه الخطب عليهم ؛ ثم احتدم الأمراء وأيقنوا أنهم بإزاء الشرع لا بإزاء القاضي ابن عبد السلام. وأفتىٰ الشيخ أنه لا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ولا طلاق ولا معاملة، وأنه لا يصحح لهم شيئًا من هذا حتىٰ يباعوا ويحصل عنقهم بطريق شرعي ! ثم جعلوا يتسببون إلىٰ رضاء، ويتحملون عليه بالشفاعات، وهو مُصِرٌّ لا يعبأ بجلالة أخطارهم، ولا يخشىٰ اتسامه بعداوتهم، فرفعوا الأمر إلىٰ السلطان، فأرسل إليه فلم يتحول عن رأيه وحكمه "(١).

لم ترضخ المماليك في بداية الأمر لفتوي الإمام العز بن عبد السلام ولم تستجب لأمره، فتتصاعد الأحداث داخل القصة، ويحتدم الصراع بينهم وبين الإمام العز، بعد أن فزع المماليك من فتوي الإمام العز بحقهم، وهاجت ثائرتهم ضده، وهم معرفون بالقوة والبطش، فهمُّوا في بداية الأمر بقتل الإمام العز وإسكات فتواه التي أصدرها بحقهم، لكنهم رجعوا إلي أنفسهم بعد أن علموا أن الإقدام علي ذلك الأمر ليس في صالحهم، حيث إن فتوي الإمام العز بحقهم قد شاعت وانتشر خبرها بين أرجاء أهل مصر، فعادوا إلي رشدهم وصوابهم، وأيقنوا أنهم حيال تلك المشكلة ليسوا خصما أمام الإمام العز نفسه، وإنما هم بإزاء حكم الشرع ورأي الدين فيهم، فهدأت ثائرتهم، وسكنت عاصفتهم، واتجهوا نحو ملاطفة الإمام العز ومحاولة كسب رضاه، لعلهم يجدون عنده مخرجًا من ذلك الأمر الديني العظيم، ومن هذا الحرج الاجتماعي

(١) وحي القلم جـ٣ صـ ٦٤.

الكبير الذي أوقعهم فيه الإمام العز بتلك الفتوي التي باتت تهدد عروشهم وسطوتهم بين الناس.

- الصورة الرابعة : موقف السلطان من فتوي الإمام العز بن عبد السلام.

وبعد أن فشل المماليك في كسب رضا الإمام العز بن عبد السلام، أو التأثير عليه بالتشفّع بالمقربين إليه من أجل إثنائه عن موقفه وعدوله عن فتواه الحازمة بحقهم رفعوا أمره إلي السلطان أيوب من أجل أن يناصرهم ويتصدىٰ للإمام العز بنفسه، يقول الرافعي:

"واستشنع السلطان فعله وحنق عليه وأنكر منه دخوله فيما لا يعنيه، وقبّح عمله وسياسته وما تطاول إليه، وهو رجل ليس له إلا نفسه وما تكاد تصل يده إلىٰ ما يقيمه وهم وافرون وفي أيديهم القوة ولهم الأمر والنهي".

نري الرافعي في هذه الفقرة يصعِّد من الأحداث وينمي الصراع داخل القصة بين الإمام العز بن عبد السلام والمماليك، فبعد أن يئس المماليك من محاولات استرضاء الإمام العز بن عبد السلام وإثنائه عن فتواه بحقهم، لجئوا إلي السلطان أيوب وعرضوا عليه شكواهم من الإمام العز ورفضهم لتنفيذ فتواه بحقهم، فاستشاط غضب السلطان،وأعلن رفضه وإنكاره التام لما قام به الإمام العز من إصدار فتواه بحق المماليك، وأخذ عليه تجرُّءه وإقحامه في ذلك الأمر العظيم الذي يتطرق إلي سياسة الحكم وشئون السلطنة.

ويتدخل الرافعي في قلب الأحداث ويستطرد في وصف السلطان بالأنانية وحبه لذاته، في قوله "وهو رجل ليس له إلا نفسه..... "

ولعل ما دفع الرافعي إلي هذا الاستطراد والتدخل في أحداث القصة بذلك الوصف للسلطان هو ما كان يترقبه وينتظره الكاتب من السلطان من تأييد وموافقة لفتوي

الإمام العز بن عبد السلام ضد المماليك وإعلاء كلمة الدين، غير أنه وجد خلاف ذلك من رفض لفتواه، وتقبيح لما قام به من تدخل في شئون السياسة والحكم، مما دفع بالكاتب إلي التعليق علي هذا الجانب السلبي عند السلطان من خلال ذلك الوصف المشين له.

الصورة الخامسة: خروج الإمام العز من مصر.

ولما علم الإمام العز بموقف السلطان منه ورفضه فتواه بحق المماليك همّ بالخروج من أرض مصر ومغادرتها، يقول الرافعي: (١)

"وانتهىٰ ذلك إلىٰ الشيخ الإمام، فغضب ولم يُبالِ بالسلطان،ولا كبُر عليه إعراضه، وأزمَعَ الهجرة من مصر، فاكترَىٰ حميراً أركب أهله وولده عليها ومشىٰ هو خلفهم، يريد الخروج إلىٰ الشام، فلم يبعد إلا قليلاً نحو نصف بريد حتىٰ طار الخبر في القاهرة، ففزع الناس وتبعوه، لا يتخلف منهم رجل ولا امرأة ولا صبي، وصار فيهم العلماء والصلحاء والتجار والمحترفون، كأن خروجه خروج نبي من بين المؤمنين به، واستعلنت قوة الشرع في مظهرها الحاكم الآمر من هذه الجماهير، فقيل للسلطان: إن ذهب هذا الرجل ذهب مُلكك".

وتأخذ أحدث القصة اتجاها آخر من التطورات وتتصاعد أحداثها بعد رفض السلطان لفتوي الإمام العز وتأنيبه علي تدخله في شئون سلطانه، فما كان من الإمام العز إلا أن قرّر الرحيل عن مصر، ورفض الدخول في مواجهة مباشرة مع السلطان بعد موقفه الأخير، وأعدّ راحلته وزاده للخروج من مصر بصحبة أهله، ويَمّم الإمام العز وجهه جهة الشام، ثم تتطور الأحداث وتتصاعد حدتها بعد انتشار وذيوع خبر رحيل الإمام العز عن مصر، ويدخل في أحداث القصة عنصر فاعل ومؤثر في الأحداث، وهم

(١) وحي القلم جـ ص ٦٤.

طوائف شعب مصر كافة من العلماء،والصلحاء، والتجار، وأصحاب الحرف المختلفة، الذين هَبُّوا جميعًا خلف ركب الإمام العز بمجرد علمهم برحيله عن مصر، ثائرين ورافضين خروجه أو رحيله عن مصر، وقد شبه الرافعي خروج الإمام"العز بن عبد السلام"من بين أهل مصر بخروج وهجرة نبي من بين قومه، وقد بادله أهل مصر خروجا بخروجه، وكان خروجهم خلف الإمام العز أشبه بثورة شعبية عارمة ترفض خروج الإمام العز ورحيله عن مصر، وتطالب بالإبقاء عليه وإكرامه وتقديره.

وقد كان لخروجهم خلف الإمام ومطالبتهم برجوعه إلي مصر أثرًا بالغًا في تطور الأحداث ونموها داخل القصة، حيث فزع السلطان من تلك الثورة الشعبية العارمة التي قام بها أهل مصر من أجل الإمام العز، وخشي علي ملكه وسلطانه من رحيل الإمام العز عن مصر، فكان ما قام به من اللحاق والانضمام سريعًا إلي ثورة الشعب المصري المطالبة بعودة الإمام ورجوعه إلي مصر.

ومما زاد من فزع السلطان وخوفه من رحيل الإمام عن مصر ما سمعه من بعض حاشيته من مقولة هزت كيانه وفكره وهي:"إنْ ذهبَ هذا الرجل ذهب مُلكُك"، فكانت لتلك المقولة أثرًا بالغًا في نفس السلطان، جعلته يعيدُ حساباته ورأيه في مستقبل الإمام العز، وأرغمته علي تغيير موقفه المعادي له، والذهاب خلفه يترضاه ويستميله في الرجوع لمصر.

وكشفت تلك المقولة المعبرة عن مدي التفاف واصطفاف شعب مصر آنذاك بكافة أطيافه خلف الإمام العز بن عبد السلام وتمسكه به، ورفضهم التام المساس به، ثم تعطي الحكام درسًا آخر في أهمية تمسكهم بالعلماء والفقهاء الصادقين المخلصين، وضرورة تقريبهم من مجالسهم، والاستعانة بهم في شئون ملكهم وحكمهم، فهم لهم أعمدة وأركان أصيلة لتثبيت الحكم العادل والسياسة الرشيدة.

- الصورة السادسة: استجابة السلطان أيوب لمطلب الإمام العز .

ولمّا صعّد الإمام العز موقفه مع السلطان أيوب برحيله عن مصر لجأ السلطان إلي ملاطفته وكسب رضاه، يقول الرافعي:

"فارتاع السلطان، فركب بنفسه ولحق بالشيخ يترضاه ويستدفع به غضب الأمة، وأطلق له أن يأمر بما شاء، وقد أيقن أنه ليس رجل الدينار والدرهم والعيش والجاه ولبْس طيلسان العلماء كما يلصق الريش علىٰ حَجَرٍ في صورة الطائر "(١).

فزع السلطان من تبعات خروج الإمام العز من مصر وما صاحب ذلك من خروج الناس بكافة فئاتهم وأطيافهم خلفه، واستشعر السلطان مغبة وخطورة ذلك الأمر علي سلطانه وملكه، حيث لم يكن خروجه خروج إنسان عادي، وإنما كان خروج أمة كاملة، وأيقن السلطان أن في رحيل الإمام العز عن مصر هو تقويض لملكه،وتهديد لسلامة واستقرار عرشه علي مصر، فسارع إلي اللحاق به، وأعتذر له عما بدر منه بحقه، وأعطاه الأمان والحرية في أن يقول ويفتي بما يشاء في مصر،بعد أن يئس من محاولات إغرائه أو تهديده.

ولم يكن مغزي السلطان من ذلك الأمر محبة الإمام العز أو موافقته لرأيه عن اقتناع ورضا، وإنما دفعه إلي ذلك الأمر الخوف السياسي، والرغبة في احتواء الموقف المتأزم والثائر في مصر من مغبة خروج الناس خلفه، و دفع حالة السخط العام والغضب الشعبي الكبير التي سيطرت علي الناس في مصر جرّاء رحيل الإمام عن الديار المصرية.

---

(١) وحي القلم جـ٣ ص ٦٥.

- الصورة السابعة: انتصار الحق برجوع الإمام العز للقاهرة.

يقول الرافعي: "ورجح الشيخ،وأمر أن يعقد المجلس، ويجمع الأمراء، وينادي عليهم للمساومة في بيعهم، وضرب لذلك أجلاً بعد أن يكون الأمرُ قد تعالمه كل القاهرة ؛ ليتهيأ من يتهيأ للشراء والسوم في هذا الرقيق الغالي "(١).

وهنا تصل أحداث القصة إلي مرحلة من الهدوء والاستقرار الذي يصل إلي درجة وعنصر "الحل "لعقدة ومشكلة القصة، متمثلًا في الانتصار لرأي وفتوي الإمام العز بن عبد السلام ورضوخ السلطان وموافقته لتنفيذ حكم الشرع وكلمة الدين بحق أمراء المماليك.

الصورة الثامنة : الصراع بين الإمام العز ونائب السلطان .

ثم تعود أحداث القصة مرة أخري إلي التأزم واحتدام الصراع بين أبطالها، فيما يمكن أن يطلق عليه ببؤرة الصراع أو لحظة التنوير داخل القصة، وذلك بعد أن حقّق ولبّي السلطان للإمام العز مطلبه، يقول الرافعي: (٢)

" وكان من الأمراء المماليك نائب السلطنة، فبعث إلىٰ الشيخ يلاطفه ويسترضيه، فلم يعبأ الشيخ به ؛ فهاج هائجه وقال: كيف يبيعنا هذا الشيخ وينادي علينا وينزلنا منزلة العبيد ويفسد محلنا من الناس ويبتذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض ؟ وما الذي يفقد هذا الشيخ من الدنيا فيدرك ما نحن فيه ؟ إنه يفقد ما لا يملك، ويفقد غير الموجود، فلا جرم لا يبالي ولا يرجع عن رأيه ما دام هذا الرأي لا يمر في منافعه، ولا في شهواته ولا في أطماعه، كالذين نراهم من علماء الدنيا ؛ أما والله لأضربنه بسيفي هذا، فما يموت رأيه وهو حي.ثم ركب النائب في عسكره وجاء إلىٰ دار الشيخ واستلّ

(١) وحي القلم ج ٣ ص ٦٥.
(٢) وحي القلم جـ ٣ ص ٦٦.

سيفه وطرق الباب، فخرج ابنه عبد اللطيف ورأىٰ ما رأىٰ فانقلب إلىٰ أبيه وقال له: انج بنفسك، إنه الموت، وإنه السيف، وإنه وإنه...فما اكترث الشيخ لذلك ولا جزع ولا تغير، بل قال له: يا ولدي ! أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله !وخرج لا يعرف الحياة ولا الموت، فليس فيه الإنساني بل الإلهي، ونظر إلىٰ نائب السلطنة وفي يده السيف، فانطلقت أشعة عينيه في أعصاب هذه اليد فيبست ووقع السيف منها. وتناوله بروحه القوية، فاضطرب الرجل وتزلزل وكأنما تكسر من أعصابه فهو يرعد ولا يستقر ولا يهدأ. وأخذ النائب يبكي ويسأل الشيخ أن يدعو له ؛ ثم قال: يا سيدي، ما تصنع بنا ؟قال الشيخ: أنادي عليكم وأبيعكم !وفيم تصرف ثمننا ؟في مصالح المسلمين.ومن يقبضه ؟أنا. وكان الشرع هو الذي يقول: 'أنا'، فتم للشيخ ما أراد، ونادىٰ علىٰ الأمراء واحداً واحداً، واشتط في ثمنهم، لا يبيع الواحد منهم حتىٰ يبلغ الثمن آخر ما يبلغ ؛ وكان كل أمير قد أعد من شيعته جماعة يستامونه ؛ ليشتروه...ودمغ الظلم والنفاق والطغيان والتكبر والاستطالة علىٰ الناس بهذه الكلمة التي أعلنها الشرع ".

في هذه الفقرة الختامية يحتدم الصراع داخل القصة، وتنمو الأحداث بطريقة سريعة متلاحقة، وتعود إلي التأزم والاحتدام بعد أن كانت قد هدأت حدتها بعودة الإمام العز إلي مصر وتحقيق مطلبه، ويتجدد الصراع مرة أخري بين الإمام العز بن عبد السلام ومخالفيه، لكن هذه المرة ليس مع السلطان نفسه، بل مع نائبه المملوكي الذي رأي في فتوي الإمام العز ببيع المماليك مذلةً وصغارًا لهم ولمنزلتهم العالية، بعد أن بلغوا شأوًا عاليًا في مصر، فكان نائب السلطان من المماليك، وكان السلطان نفسه لا يستطيع أن يقطع أمرًا في شئون الحكم حتىٰ يرجع إليهم، فلما علم نائب السلطان بما أقدم عليه الإمام العز من القول ببيع المماليك استشاط غضبًا وكُرها لهذا الأمر الشنيع

بحقهم، وهُم في منزلة ومكانة فوق الجميع بزعمه وغروره، وآثر في بداية الأمر جانب اللين والتلطف في مخاطبة الإمام العز من أجل عدوله عن فتواه، بعد أن علم أنه رفض وترفّع عن كل عروض الإغراءات والمطامع التي تستميل غيره من علماء الدنيا والسلطان، لكن الإمام العز أصّر علي موقفه، وتمسك بمبدئه،ورفض كل محاولات الاسترضاء والاستمالة من نائب السلطان الذي لم يجد بُدًّا من الذهاب إلي الإمام العز بنفسه ومواجهته والصدام معه، وهنا تأخذ القصة منحًىٰ آخر من التطورات في الأحداث.

ويثير الكاتب في تلك اللحظة الفارقة عقدة صراعِ نفسي مرير داخل نفس نائب السلطان، ويسمعنا صرخته العالية في قوله: "كيف يبعنا هذا الشيخ وينادي علينا وينزلنا منزلة العبيد، ويفسد محلنا من الناس، ويبتذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض؟".

وهي عقدة نفسية مريرة غيرت وقلبت مجريات الأحداث داخل القصة تمامًا.

فبعد أن يئس نائب السلطان من استمالة الإمام العز وكسب رضاه لكي يعدل عن فتواه بحق المماليك عزم علي الذهاب إليه وضربه بالسيف والقضاء علي فتواه بقتله.

وهو أمر معتاد ويسير في سياسة المماليك الذين كانوا لا يتورعون ولا يترددون في القضاء علي أي أحد – مهما كان خطره – قد يقف في طريق استبدادهم وإحكام سيطرتهم علي شئون البلاد والحكم.

وعزم نائب السلطان علي تنفيذ خطته، فخرج بعسكره وجنده متقلدًا سيفه متوجهًا إلي دار الإمام العز لقتله، لكن كانت المفاجأة في قلب الأحداث وتغيير مجريات القصة.

فما أن دنا نائب السلطان إلي دار الإمام العز وطرق بابه بغلظة وفظاظة، حتىٰ ارتجف أهل بيت الإمام هلعًا وذُعرًا، وأيقنوا أن الشر والهلاك قد أحاط بهم وبوالدهم الإمام دون شك.

فخرج "عبد اللطيف "ابن الإمام العز واطلع خارج البيت علي حجم الخطر الذي أحاط بوالده الإمام، ثم عاد إليه مسرعًا محذرًا إياه من خطر نائب السلطان وينصحه بالفرار والهرب منه، لكنّ الإمام العز بن عبد السلام لم يخش من نائب السلطان ولا من بطشه، ولم يتأثر من تحذيرات ابنه عبد اللطيف له بالفرار والهرب، بل صمد في وجه الشر وتغلب علي خوفه، وقال لابنه عبد اللطيف مثبّتًا له ومطمئنًا إياه: "أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله "مشيرًا إلي أن الشهادة في سبيل الله غاية يطمح إليها ويطلبها، لكنه يري أنه أقل من أن يحظىٰ بنيل هذا الشرف والفضل الكبير، وخرج بنفسه يواجه نائب السلطان وعسكره بقلب ثابت جرئ لا يعرف الخوف أو الانهزام، متسلحًا بقوة الحق الإلاهي التي غمرت نفسه المؤمنة وسيطرت علي كيانه،فأحالت نفسه من بشرية ضعيفة إلي نفس ربانية قوية، غير عابئة بما أمامها من سطوة الحاكم وقوته، ونظر بعين الحق والإيمان إلي نائب السلطان الذي جاء بقوة الباطل والطغيان.

وهنا تنمو وتتطور الأحداث داخل القصة تماما،فبعد أن كان نائب السلطان قد حضر بقوته وبسلطانه إلي دار الشيخ"العز بن عبد السلام"لقتله والقضاء عليه،معتمدًا علي قوته وعسكره وسلطته الغاشمة، إذ به يتملكه الخوف والفزع، فترتعد فرائصه، ويرتجف من أثر نظرة الإمام العز إليه، فيقع السيف من يده، ويأخذه الإمام العز بيديه، ويضطّرب نائب السلطان أمام قوة الإمام العز وثباته، وتتملكه عبرة من البكاء بين يدي الإمام، ويطلب منه الدعاء،ثم يسأله عن مصيره ومصير مع خلفه من المماليك، فيجيبه الإمام في ثبات وجرأة لا حلّ سوي البيع ثم العتق، ثم يسأله وفيما تصرف أموال بيعهم

؟ فيجيبه في مصالح المسلمين ومنافعهم، ثم يسأله عمن يتولىٰ صفقة البيع وقبض الثمن فيجبه بأنا أي الإمام العز نفسه.

وهنا تصل القصة إلي مرحلة حل العقدة والمشكلة، حيث تمّ وتحقق للشيخ العز ما أراده وما أفتي به، في سابقة تاريخية ودينية وسياسية لم يشهد التاريخ الإسلامي لها مثيلًا من قبل، فنادي الشيخ العز علي أمراء المماليك واحدًا واحدًا بمقولته التاريخية الخالدة "أمراء للبيع"، وبالغ في أثمانهم، وهذا أمر طبعي يتناسب مع مكانتهم ومنزلتهم الكبيرة بين الناس، ويعود كذلك علي المسلمين بالنفع والخير الوفير في زيادة المال وكثرته لصالح بيت مال المسلمين.

وبذلك تنتصر إرادة الحق علي وتعلو كلمة الشرع وحكم الدين بين الناس مهما كانت منازلهم وأقدارهم، وينمحي ويندحر الظلم والتكبر والتسلط من بين الرعية.

ويؤكد الرافعي بتلك القصة التاريخية المجيدة علي سيادة وتطبيق وتحقيق حكم الشرع وسلطانه العادل علي الجميع دون استثناء بين أحد، مهما كانت منزلته ومكانته، وبذلك يطمئن الجميع علي أنفسهم وحقوقهم دون بخس أو عدوان أو تسلط من أحد.

وبسيادة وتطبيق مبدأ الدين وكلمة الشرع علي الحكام والسلاطين في عز مجدهم وسلطانهم ينتقل الإمام العز بن عبد السلام بالدعوة من القول إلي الفعل والعمل، ويترقىّ بها من مرحلة تعليم وتدريس نواقض الوضوء في المساجد والحلقات إلي تدريس وتطبيق نواقض العمران والأخلاق والإيمان في دنيا السياسة وأرجاء المجتمع.

ولعل هذا ما هدف إليه الرافعي من وراء تلك القصص التاريخية المجيدة التي استلهمها من روح التاريخ المجيد ليبثها في روح عصره ومجتمعه المتهالك، لعله يستطيع أن يدركه ويحييه بفنه وبأدبه الهادف الراقي الثمين .

(نقد وموازنة)

بعد عرض وشرح تلك المشاهد والصور الثمانية التي سردها الرافعي لتصوير الموقف الثالث والأخير للإمام العز بن عبد السلام يتبين لنا مهارة واتقان الرافعي في عرضه وتصويره لتلك الصور والمشاهد، وذلك من خلال ترتيبها وتسلسلها المنطقي السليم، والتي جاءت بصورة متسارعة ومتلاحقة، كل صورة ومشهد يأخذ بحجز التي تليه، حيث بدت تلك المشاهد في نموها وتسلسلها المنطقي في صورة تناسلية منظمة، تشعر القارئ بتوالد وتناسل تلك الصور والمشاهد من بعضها، فلا تفكك ولا انفصال بين الأحداث، بل ظهرت في وحدة موضوعية وفنية في غاية من الإبداع والسرد .

- أجاد الرافعي وبرع براعة فائقة في حصر الصراع داخل القصة حول تحقيق هدف سامٍ رفيع وهو إحقاق الحق وغلبة الشرع الحنيف، بعيدًا عن صراعات الأهواء الشخصية والنفسية لأبطال القصة، ظهر ذلك جليًا في قول الرافعي عن أمراء المماليك: "وبلغهم ذلك فجزعوا له وعظم فيه الخطب عليهم، ثم احتدم الأمراء وأيقنوا أنهم بإزاء الشرع لا بإزاء القاضي ابن عبد السلام". وهذا ما تحقق في نهاية القصة بجلاء وقوة في قول الرافعي: "وكان الشرع هو الذي يقول أنا... وأعلن الشرع كلمته: أمراء للبيع أمراء للبيع".

- حرص الرافعي في عرضه لتلك الصور والمواقف علي إبراز الجانب الإيجابي المشرق لدي الأمراء المماليك الذين - علي الرغم من تسلطهم واستبدادهم في الحكم - إلا أنهم كانوا يستظلون بمظلة الإسلام الحنيف ويهتدون بنوره، ظهر ذلك

في قول الرافعي عن نائب السلطان المملوكي: "وأخذ النائب يبكي ويسأل الشيخ أن يدعو له....".

لكن الرافعي بكثرة تدخله في أحداث القصة واستطراده الدائم بالشرح والتعقيب عليها وطرحه التساؤلات أثناء السرد أخفت من جذوة وحرارة الأحداث داخل القصة، وأبطأ من تفاعل القارئ وتأثره بحدة الصراع واحتدام المواقف بين الأشخاص داخل القصة، ولو أنه ترك الأحداث لطبيعتها دون تدخل أو استطراد منه لكان ذلك أبلغ وأوقع في نفوس القراء والمتلقين.

-غفل الرافعي تمامًا أثناء سرده لتلك المواقف والصور في قصة"أمراء للبيع"عن الاهتمام بالأوصاف الحسية لشخصيات قصته، فلم يعطينا صورة ولو تقريبية لشخصية من شخصيات قصته ولو لبطلها الأصيل الإمام العز بن عبد السلام، بينما نراه يسهب في وصف المعاني النفسية والأوصاف الخلقية له، ولعل إفراطه في الاهتمام بالمعاني والأوصاف النفسية والأخلاقية هو الذي جعله يغفل عن وصف الجانب الحسي لشخصيات قصته.

أحداث القصة بين كتب التاريخ ورؤية الكاتب:

من خلال النظر الدقيق والمقارنة بين أحداث القصة في كتب التاريخ التي رصدت وتحدثت عن تلك الأحداث التاريخية وبين رؤية الكاتب الكبير الرافعي نلحظ أن هناك ثمة توافقٌ كبير بين ما جاء وذُكر في كتب التاريخ وبين ما كتبه الرافعي في قصته.

فلم يخرج الرافعي كثيرًا في قصته عن أحداث التاريخ وحقائقه المسطورة في الكتب التاريخية، فلم يحذف منها ولم يضف إليها كثيرًا، غير أنه صاغها وقدمها بأسلوبه الأدبي الرائق البديع، وأضفي عليها من خياله الخصب وبيانه الناصع القوي ما أكسبها حسنًا وجمالًا وبهاءً، فتلك المعاني والمضامين العالية التي حوتها قصة بيع

الأمراء المماليك ما كان لقلم أديب آخر أن يتصدىٰ لها غير قلم الرافعي البليغ المؤثر، فالمعنىٰ العظيم لا يكتب ولا يصاغ إلا بقلم كبير، واستطاع الرافعي أن يحيل تلك الوقائع والأحداث التاريخية من قالبها التاريخي التقرير الجامد إلي أسلوب أدبي حي، نابض بالحركة والوجدان المثير المؤثر، وأن ينقل تلك الوقائع التراثية إلي رسالة عصرية تناسب الأجيال في كل زمان ومكان.

المبحث الثاني: تقنيات التشكيل الفني في قصة "أمراء للبيع"

تندرج قصة "أمراء للبيع "ضمن القصص التاريخي عند الرافعي الذي قصد من خلاله وهدف إلي تصحيح وتوضيح صورة وحقيقة علماء الدين، وإبراز أخلاقهم وسلوكهم في الحياة، وبيان مواقفهم الراسخة الصُلبة من قضايا أمتهم، وتصحيح الصورة المغلوطة والمفاهيم الخاطئة التي ما تزال تثار من حين لآخر في كل عصر حول علماء الأمة وفقهاء الشرع الحنيف في كل عصر من بيعهم الدين بالدنيا، أو خوفهم من الجهر بكلمة الحق .

فتأتي تلك القصة في محاولة جادة ورغبة صادقة لدي الرافعي في الارتفاع بالروح المعنوية لدي أبناء الأمة وتأكيد الثقة بينهم وبين علمائهم وفقهاء دينهم المخلصين.

وقد وظّف الرافعي في قصته المبحوثة "أمراء للبيع "مجموعة من العناصر القصصية والتقنيات الشكلية التي استعان بها في كتابة وتشكيل ملامح قصته، والتي أسهمت بشكل كبير في بناء القصة واكتمال نضجها الفني، ومن تلك العناصر والتقنيات الشكلية ما يلي:

أولًا: تقنية الحدث أو الحكاية .

يعد عنصر الحكاية أو الحدث هو الوجه الرئيس والأصيل في القصة الفنية، والمتمعن في قصص الرافعي التاريخية يلحظ أنها قصص اجتماعية المغزىٰ والهدف، لذا فهي بعيدة كل البعد عن التعقيد البنائي في الحدث، فالأحداث في قصصه التاريخية تأتي بسيطة وهادئة، وقد يكون الحدث أبسط من ذلك بكثير، بحث يمكن أن نقول عنه أنه موقف وليس بحدث، وهو بذلك يكون أرقي وأقرب إلي طبيعة القصة القصيرة، إذا ما أحسن الكاتب تصويره وإلقاء الضوء عليه من كل الزوايا والاتجاهات.

والمثال هنا في قصة "أمراء للبيع" يكشف عن عدة أحداث ومواقف تاريخية دارت في أزمنة وأمكنة مختلفة، وبطلها الإمام "العز بن عبد السلام "أثناء مواجهته الجريئة أمام سطوة الحكام وتسلط الأمراء المماليك، كان أولها موقفه في وجه السلطان الصالح إسماعيل في دمشق حيما أراد أن يبيع السلاح للصليبيين ويتحالف معهم ويستعين بهم في حربه ضد أخيه أيوب سلطان مصر.

فرفض الإمام عز الدين بن عبد السلام هذا التصرف الأحمق المخالف للشرع والدين من السلطان إسماعيل وعارضه بكل قوة، حتي نكل به السلطان إسماعيل وأقصاه من منصب القضاء والإمامة وسجنه.

وموقف آخر له حينما هاجر إلي مصر وقرّبه السلطان "نجم الدين أيوب "إليه وولاه القضاء والخطابة في مصر، وما أن علم الإمام ببعض المخالفات الدينية التي تقع في مصر حتي استشاط غضب الإمام، وأبي إلا أن يصلح ما أفسده الناس والحكّام في عصره، فرضخ السلطان لأمره ووافقه علي رأيه.

أما الموقف الثالث والأصيل في تلك القصة حينما علم الإمام العز بتسلط الأمراء المماليك واستبدادهم في الحكم فأفتي بأنهم في حكم الرقيق والعبيد، وبأنهم لا يملكون الحق لأنفسهم ولا لغيرهم في فعل شيء، وأنه يتعين علي السلطان أن يبيعهم حتي يحررّهم من أغلال العبودية والرق.

وبذلك تتميز قصة أمراء للبيع باحتوائها علي عدة أحداث ومواقف تاريخية مختلفة الزمان والمكان، ويمكن القول بأن الحدث الأصيل الذي نسبت القصة إليه وسميت به وهو بيع الأمراء أشبه وأقرب إلي طبيعة القصة القصيرة، إذا ما أحسن الكاتب تصويره وإلقاء الضوء عليه من شتي الزوايا والاتجاهات.

ثانيًا : تقنية وصف الشخصيات في القصة

تنوعت وتعددت الشخصيات داخل قصة"أمراء للبيع"ما بين شخصيات الحكي والسرد وشخصيات الأحداث وجاءت كالتالي:

*الراوي وهو الشيخ تاج الدين بن محمد الملقب بطوير الليل

*الإمام تقي الدين بن مجد الدين (بن دقيق العيد).

*شيخ الإسلام نجم الدين بن الرفعة .

*الشيخ علاء الدين بن الباجي.

*شيخ الإسلام وإمام عصره العزّ بن عبد السلام . (الفقيه الكبير)

*الملك الصالح إسماعيل بن أيوب (سلطان الشام)

*الملك الصالح نجم الدين بن أيوب (سلطان مصر).

*نائب السلطان نجم الدين بن أيوب.

*عبد اللطيف ابن الإمام العز بن عبد السلام.

كان الرافعي يعتمد في وصف الشخصيات في قصصه عامة علي طريقتين:

إحداهما: وصف الشخصية ورسم أبعادها النفسية والبدنية والاجتماعية، وهو في ذلك الاتجاه كان لا يطيل في تفاصيل رسم ملامح وأبعاد الشخصية، وإنما كان يكتفي بعرض لمحات ظاهرية خاطفة، أو نفسية عابرة تفي بالغرض الذي من أجله جاءت ووُظّفت الشخصية في القصة.

وذلك مثل شخصية الراوي التي عرض لها الرافعي في مستهل قصته وهو "الشيخ تاج الدين محمد بن علي" الملقب بـ"طوير الليل"، والراوي ليس هو المؤلف ولا صورته ، وإنما هو موقع خيالي ومقالي يصنعه المؤلف داخل النص، قد يتفق مع موقف المؤلف نفسه وقد يختلف، وهو أكثر مرونة، وأوسع مجالًا من المؤلف، لأنه

قد يتعدد في النص الواد وقد يتنوع، وقد يتطور، حسب الصورة التي قد يقتضها العمل القصصي ذاته "(١).

الطريقة الأخرى: إبراز مواقف وتصرفات الشخصية داخل القصة، بمعني أن الرافعي هنا كان يهتم بإبراز المواقف التاريخية التي صدرت من الشخصية وكانت محورًا أصيلا للقصة، وهذا الجانب التصويري أقوي وأوضح من الجانب الأول، لأنه يرتبط بصورة أوضح بين الحدث والشخصية، وأن جوانب الشخصية تتجلي من خلال حوادث القصة شيئا فشيئا، وهو بذلك يعد عنصر تجديد وتشويق للقصة.

ولو نظرنا إلي أبطال الرافعي وشخصياته التاريخية البطولية من هذه الوجهة فإننا نري ونلمس فيهم نماذج من البطولات النفسية والخلقية، تعد مُثُلا عليا، ومنارات مضيئة للأفراد والجماعات تهديها إلي سبل الخير والحق والرشاد، وفي كل منها أسوة حسنة وقدوة جديرة بأن تتطلع إليها همم الشباب وآمال المصلحين.

ففي قصة "أمراء للبيع "نجد الرافعي وقد رسم للإمام "عز الدين بن عبد السلام "مثالا ونموذجًا فريدًا لعالم الدين الواعي الشجاع، المستمسك بحقيقة الدين وقوة الشرع الحكيم، والمدافع عن حق المجتمع، الذي لا يكترث ولا يهاب صولة الحكام ولا بطشهم، ولا يعبأ بما في أيديهم من مظاهر النعمة المغرية ولا أساليب البطش المخزية، وقد استطاع بثباته ويقينه أن ينتصر لكلمة الشرع، ويبيع الحكام، ويقبض ثمنهم ويرده إلي بيت المال، وهو بذلك يشعرهم بأن قوتهم لا تغنيهم من الحق شيئا، ولا تعفيهم من المحاسبة أو السؤال، فهم أمام سلطة الدين والشرع سواء مع غيرهم.

(١) ينظر الراوي والنص القصصي د عبد العظيم الكردي الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة الطبعة الأولي سنة ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م ص ١٧ .

ووصف الرافعي كذلك السلطان أيوب في قوله: "وكان أيوب ملكًا شديد البأس، لا يجسر أحد ان يخاطبه إلا مجيبًا"، ويبرز هذا الوصف ما كان عليه السلطان من قوة وشدة وبأس تمنع أعي أحد من رعيته من اعتراضه أو مخالفته.

ويصف أيضًا المماليك في قوله: وهم معرفون بالخشونة والبأس، والفظاظة والاستهانة بكل أمر...". وهكذا يحرص الرافعي علي وصف شخصيات وأبطال قصته وصفًا حسيًا دقيقًا يعكس صفاتهم وأخلاقهم، وإن كان وصفه للجانب النفسي والأخلاقي قد طغي علي الجانب الحسي كما سبق.

ثالثًا: تقنية الزمان والمكان :

دارت أحداث القصص التاريخي للرافعي في كتابه "وحي القلم"في الحقب التاريخية المختلفة منذ عصر الراشدين إلي عصر المماليك، وجاءت معظمها مصورة عصور الإسلام الزاهية الزاخرة بالأحداث والتطورات والصراعات، وكان يهدف الرافعي من خلالها استخلاص العبر والدروس النافعة لأبناء عصره وأمته، من أجل أن تساعدهم علي تخطي أزمات الحاضر والتغلب عليه.

والزمن في قصتنا "أمراء للبيع"يشمل الزمن الذي جرت فيه أحداث القصة فقط وهو العصر المملوكي بأشخاصه وأحداثه، ولا ينسحب التعليق أو التحليل داخل البحث علي أي عصر آخر قبله أو بعده، ويشمل كذلك زمن السرد، وهو وقت كتابة الرافعي للقصة في العصر الحديث زمن الرافعي، ويعد الزمن الذي تستغرقه القصة التاريخية عند الرافعي هو الزمن المعتاد للقصة القصيرة التي تعتمد علي وحدة الحدث أو الموقف التاريخي، فقد يكون ساعة،أو يوما، أو أياما، وقد يمتد ويتسع لأكثر من ذلك حسب طبيعة الحدث وظروفه التاريخية. والزمن هنا في قصة أمراء للبيع قد استغرق عدة أيام، وذلك نظرًا لخطورته وضخامته، فهو متعلق برموز الحكم

والسلطة في البلاد، ما بين سلطان الشام تارة،وسلطان مصر تارة أخري، وبين الأمراء المماليك تارة ثالثة، مما أدي إلي اتساع زمن القصة رغم وحدة الحدث فيها. أما عن مكان أحداثها فكان غالبها علي أرض مصر، باستثناء موقف الإمام العز مع السلطان الصالح إسماعيل الذي كان علي أرض الشام.

رابعًا: تقنية الأسلوب والحوار في القصة

الأسلوب في القصة هو عبارة عن المادة اللغوية التي يسلك بها القاص سبيل قصته، ويأتي الأسلوب في القصة غالبًا بثلاث صور:

الصورة الأولي: السرد: وهو أسلوب القاص نفسه، ويعطينا من خلاله مضمونه الفكري أثناء سرد قصته، وإبراز أحداثها، وقد يكون السرد من الكاتب أو القاص مباشرًا، وقد يكون بطريق السرد الذاتي علي لسان الشخصية داخل القصة.

الصورة الثانية: الحكي: وغالبًا ما يكون علي لسان راوٍ يأتي به القاص ويجري أحداث القصة علي لسانه بأسلوب الحكي، وهو الأسلوب الغالب والمتبع في قصة"أمراء للبيع"حيث أجري الرافعي أحداثها ووقائعها علي لسان الراوي.

الصورة الثالثة: الحوار: ويأتي من خلال تمهيد القاص وهو يسرد بعض الأحداث، وميزة الحوار عن السرد أنه يجعل القارئ أكثر قربًا من الحدث أو الواقعة، فيكسب الموقف حيوية خاصة، وغالبًا ما يكون بلغة فصيحة سهلة"(١).

وجمع الرافعي في قصته"أمراء للبيع"بين الصور الثلاث، **فاستهلها** بأسلوب الحكي علي لسان الشيخ تاج الدين الملقب بطوير الليل"، **ثم نقل الحوار** بعد ذلك علي لسان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، **ثم اعتمد علي أسلوب السرد** في إظهار

(١) في النقد الأدبي الحديث د محمد لأحمد سلامة. دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولي سنة ١٩٨٨ م ص ١٨٧ .

بعض الفروق بين علماء الحق وعلماء السوء، والفرق بين العالم الصادق والعالم المنافق، كما سبق في القصة، وبيان معني الإمارة والأمراء،ودور العلماء في توجيه الحكام والأمراء وإرشادهم، **وتارة ثالثة** كان يعتمد الرافعي علي أسلوب الحوار بين شخصيات القصة، وجاء في صورتيه الخارجي والداخلي:

الأول: الحوار الخارجي:

والحوار الخارجي هو الغالب في القصة، وظهر ذلك في رصد الرافعي لموقف الشيخ العز مع السلطان أيوب في القلعة يوم العيد، وكما ظهر كذلك في الحوار بين الإمام العز وابنه عبد اللطيف عندما جاء إليه نائب السلطان ليقتله في داره، يقول الرافعي: "ثم ركب النائب في عسكره وجاء إلىٰ دار الشيخ واستلّ سيفه وطرق الباب، فخرج ابنه عبد اللطيف ورأىٰ ما رأىٰ فانقلب إلىٰ أبيه وقال له: انج بنفسك، إنه الموت، وإنه السيف، وإنه...فما اكترث الشيخ لذلك ولا جزع ولا تغير، بل قال له: يا ولدي ! أبوك أقل من أن يقتل في سبيل".

الثاني: الحوار الداخلي:

والحوار الداخلي أو المنولوج الداخلي هو "الخطاب غير المسموع وغير المنطوق الذي تعبر به شخصية ما عن أفكارها الحميمة القريبة من اللاوعي، ومن شأن هذه التقنية التي يلجأ إليها الكاتب ليضع بين أيدينا ما يجري في ذهن هذه الشخصية أو تلك من شخصيات الراوية "(١).

وظهر هذا النوع من الحوار في قصة "أمراء للبيع"في بعض المواقف التي التي تختلي فيها الشخصية بنفسها للمناجاة والتفكير الداخلي، مثل قول الرافعي:"ففكر شيخنا في هؤلاء الأمراء، وقال: إن خداع القوة الكاذبة لشعور الناس باب من الفساد ؛

(١) هندسة الرواية. د عبد المنعم زكريا القاضي الناشر مكتبة عين للدراسات والبحوث الطبعة الأولي سنة ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م ص ٢٢٣ .

إذ يحسبون كل حسن منها هو الحسن، وإن كان قبيحًا في ذاته ولا أقبح منه ؛ ويرون كل قبيح عندها هو القبيح، وإن كان حسنًا ولا أحسن منه. وقال: ما معنىٰ الإمارة والأمراء ؟ وإنما قوة الكل الكبير هي عماد الفرد الكبير، فلكل جزء من هذا الكل حقه وعمله ؛ وكان ينبغي أن تكون هذه الإمارة أعمالاً نافعة قد كبرت وعظمت فاستحقت هذا اللقب بطبيعة فيها كطبيعة أن العشرة أكثر من الواحد، لا أهواء وشهوات ورذائل ومفاسد تتخذ لقبها في الضعفاء بطبيعة كطبيعة أن الوحش مفترس، وفكر الشيخ فهداه تفكيره إلىٰ أن هؤلاء الأمراء مماليك، فحكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، ويجب شرعًا بيعهم كما يباع الرقيق !".

فهذا الحوار يكشف لنا لحظات من التفكير الداخلي المسموع والمناجاة الداخلية من الإمام العز مع نفسه حول حقيقة هؤلاء المماليك، وموقف الشرع الحنيف منهم،إلي أن اهتدي إلي القول الفاصل فيهم .

وهكذا نظهر براعة الرافعي في تنوعه وجمعه في قصته بين أسلوبي السرد والحوار وفي ذلك مزيد من الإمتاع والتشويق للقارئ والمتلقي.

المبحث الثالث: السمات الجمالية في قصة (أمراء للبيع)

أولًا: سيميائية العنوان (أمراء للبيع) ودلالته الفنية:

يعد العنوان أول عتبات العمل القصصي أو الروائي، وهو أول ما تقع عليه عين المتلقي، وهو يعرّف القصة أو الرواية ويشير إلي محتواها، ويمارس تأثيره الإغرائي في المتلقي، بفضل ما يحف به من شفيف الظلال التي تمتزج فيها الغموض بالتشاؤم، والترقب بالتفاؤل الحذر "(١).

واختار الرافعي لقصته عنوان"أمراء للبيع"بدقة وعناية واضحة، ووُفّق الرافعي في اختيار هذا العنوان،وذلك لما للعنوان من أهمية وأثر في قوة ونجاح العمل الأدبي من عدمه، ويؤكد بعض النقاد علي الناحية الدلالية لعنوان العمل الأدبي بقوله:"إذن لابد للعنوان من إنتاجية دلالية قادرة علي توريط وجذب المتلقي في عمله... والعنوان مثل العمل الذي يعنونه، دون أدني فارق،بل ربما كان العنوان أشد شاعرية وجمالية من عمله في بعض الإبداعات التي يتوقف المدخل النقدي إليها علي بناء نصية العنوان أولا وقبل أي شيء آخر "(٢). وعنوان القصة جملة اسمية مكونة من كلمتين أمراء،وللبيع،وفيه من الدلالات والإيحاءات ما يلي:

في **اختيار مفردة** (أمراء) دون مماليك دلالة وإيحاء بالسلطة والقوة المفرطة والملك العظيم لتلك الفئة الحاكمة من المماليك، وفيها كذلك دلالة علي وجوب اتباع من خلفهم من جند المماليك لما سيؤول إليه أمرهم ، وتطبيق هذا الحكم الشرعي عليهم اقتداءً بكبرائهم من الأمراء.

---

(١) مرايا السرد . د ربيع عبد العزيز. الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة الطبعة الأولي سنة ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م ص ١٢٨.

(٢) العنوان وسيمو طيقا الاتصال الأدبي بإيجاز د محمد فكري الجزار طبعة الهيئة العامة للكتاب الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٦ م ص ٢٦، ٣١

يحمل عنوان القصة"أمراء للبيع**"**مفارقة واضحة، وذلك لما يوحي به المبتدأ (أمراء) بالعز والسلطان، وبما يوحي به الخبر شبه الجملة (للبيع) من مهانة وإذلال، لكنها مهانة يعقبها عزٌ، وتصغير وتقليل يعقبهما علوٌ ورفعةٌ، بتحقيق وتطبيق حكم الشرع والدين فيهم وتحريرهم من مذلة الرق إلي عالم الحرية والسيادة.

في بيع هؤلاء الأمراء في مزاد علني تحضره عامة الرعية دلالة وتأكيد علي سلطة الشعب العليا، وملكيتهم لأمر حكامهم وتصرفهم فيهم، علي خلاف ما هو سائد من تسلط الحكام علي شعوبهم وقهر البعض لهم.

وهذا العنوان وإن لم يكن من إبداع فكر الرافعي، حيث إنها كلمات عفوية كان ينادي بها الإمام العز في السوق يوم أن باع الأمراء المماليك،إلا أنّ في التقاط الرافعي لتلك العبارة من بين كلمات الإمام العز يوكد مهارته وبراعته الفنية في دقة اختياره لعناوين قصصه وموضوعاته .

ثانيًا: ظاهرة التناسل السردي أو التوالد الحكائي في القصة.

تعد ظاهرة "التناسل الحكائي"[1] إحدى الظواهر الأسلوبية الحديثة المتعلقة بمجال السرد القصصي، وهو أسلوب سردي يقصد به توالد وتناسل قصة عن قصة أخري، ويري الكثير من الباحثين أن هذا الأسلوب السردي هو أسلوب قصصي حديث النشأة، لكننا عند التأمل في السرد العربي القديم، نجده متحققًا بصورة واضحة وبعدد ملفت للانتباه في قصص عربية قديمة، كما في قصة المكافأة لابن الداية، وقصص ألف ليلة وليلة التي تعتمد بنية الحكايات في الليالي علي تناسل الحكايات، حيث يتوالد ويتناسل عن القصة الواحدة مجموعة من القصص التي تجمعهم

(١) ورد في لسان العرب مادة (ن س ل) وقد نسل ينسل نسلًا وأنسل وتناسلوا، وأنسل بعضهم بعضًا أي كثروا وتوالدوا . اللسان نسل .

علاقات وروابط متعددة . وهذا الأسلوب يعطي القصة ويكسبها المزيد من الإثارة والتشويق.

والمتأمل في قصة"أمراء للبيع "للرافعي يلحظ وجود هذا الملمح السردي بصورة واضحة وجلية، فهي قصة تحتوي علي عدة مواقف وأحداث متقاربة، كل موقف أو حدث هو متوالدٌ ومتناسلٌ من باطن الحدث أو الموقف الذي سبقه ومرتبط به.

وباستقراء القصة نجد أنها استفتحت بحكاية الراوي وهو الشيخ "تاج الدين محمد بن علي الملقب بطوير الليل "عن شيخه الإمام العظيم تقي الدين بن مجد الدين بن دقيق العيد "وكيف رسم له صورة صادقة عن جرأته وشجاعته أمام السلطان، وكيف كان يساوي بينه وبين عامة الناس في مقام الخطاب والنداء بلقب "يا إنسان "؟!

ثم شرع الرافعي بعد ذلك في الاستعانة بأسلوب الاستطراد في القصة لتفسير وشرح رأي الشيخ في ذلك الأمر، وكيف فرّق الشيخ بين علماء الحق وعلماء السوء.

ثم انتقل الرافعي بعد ذلك ببراعة فائقة بالحديث علي لسان الإمام "تقي الدين بن دقيق العيد "وهو يحكي عن شيخه سلطان العلماء "عز الدين بن عبد السلام "وكيف كان ورعه وصدقه وجرأته المتناهية أمام الحكام والسلاطين، وعدم خشيته في سبيل الجهر بقول الحق من لومة لائم أو سطوة ظالم.

واستطاع الرافعي أن يشتق ويستولد تلك الصورة العظيمة التي رسمها الإمام تقي الدين لشيخه العز بن عبد السلام من باطن الصورة السابقة التي رسمها الإمام تقي الدين للعالِم الحق الجريء، الثابت علي مبدئه، ولا يبيع دينه بعرض من الدنيا.

ثم تتوالي عملية التناسل والتوالد الحكائي لدي الرافعي في قصته فيشرع في سرد وحكي ثلاثة مواقف وأحداث متتابعة في حياة الإمام الجريء"العز بن عبد السلام

"أمام الحكام والسلاطين، وهي موقفه الأول من السلطان الصالح إسماعيل سلطان الشام مع الصليبيين، والموقف الثاني مع السلطان أيوب في يوم العيد، والموقف الثالث موقفه من الأمراء المماليك، وقد أظهرت تلك المواقف المتتابعة مدي ثبات الإمام عز الدين بن عبد السلام، وصدقه في دينه، وشجاعته وجرأته أمام الحكام والملوك والأمراء فيما يتعلق بأمور الشرع والدين .

ونلحظ في تلك المواقف المتناسلة والمتوالدة من بعضها الترابط السليم والتسلسل المنطقي فيما بينها، حيث نري في كل موقف أنه نتاجٌ طبيعي ومولودٌ شرعيٌ لما سبقه، ففي موقف الإمام العز مع السلطان الصالح إسماعيل وهو في الشام بداية تلك المواقف الإيمانية العظيمة التي أكّدت علي شخصية الإمام العز الدينية الصادقة الثابتة، وجاء الموقف الثاني له مع السلطان أيوب في مصر في يوم العيد يوم أن صعد إليه الإمام عز الدين في قلعة الحكم وناداه باسمه مجردًا،وأمره أن يبطل المنكر الذي شاع وانتشر في البلاد، جاء هذا الموقف ليؤكّد ويبرهن علي ثبات الإمام العز بن عبد السلام، وتأصّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفسه،وأنه لم يتغير ولم يحابي السلطان أيوب علي حساب دينه وأخلاقه، بعد أن أكرم السلطان أيوب وفادته إليه، وأحسن استقباله، بعد أن هجر الشام إثر خلافه وصدامه مع سلطانه الأول الصالح إسماعيل. ثم يتوالىٰ تناسل مواقف الصدام والخلاف بين الإمام عز الدين ورموز الحكم والسلطة في مصر، فينتج موقفٌ آخر أشدّ وأجرئ مما قبله، وهو فتوىٰ الإمام العز برّق الأمراء المماليك وضرورة بيعهم في مزادٍ عام، وذلك حتي يستردوا حريتهم وممارسة حقوقهم.

فهي مواقف وأحداث كما نري متناسلة من بعضها، ومتتابعة ومتناسقة في تسلسلها وتتابعها، استطاع الرافعي بمهارته ومقدرته الفنية أن يحسن صياغتها وعرضها في قالبٍ قصصي ممتع ومشوقٍ.

ثالثًا: البناء القصصي:

لا يلتزم الرافعي طريقة واحدة في بناء قصته، فهو أحيانًا يسير بها تدريجيًا ملتزمًا سير الأحداث وتتابعها الزمني وصولًا بها إلي ذروة الحدث ونهايته. وتارة أخري يبدؤها بالنهاية أو بالنتيجة قبل الأحداث والمقدمات.

ويحرص الرافعي في قصصه علي إبراز عنصر التشويق والإثارة بقوة ووضوح، فنري ذلك واضحًا في قصة"أمراء للبيع"من خلال إبراز بعض المواقف بين شخصيات القصة المثيرة لتشويق المتلقي وترقبه لنتائج الأحداث، كما حدث في صعود الإمام"العز بن عبد السلام"إلي القلعة يوم العيد ساعة أن حشد السلطان أيوب جنده وعسكره للاستعراض، ثم يفاجئه الإمام العز وينادية في جرأة وثبات باسمه مجردًا ويأمره بإبطال المنكر، وهنا يتشوق المتلقي ويترقب ما سيفعله السلطان مع الإمام الجسور الجريء، وإذ به يفاجئ بتلبية مطلب الإمام وتنفيذ أمره علي الفور.

ومثله كذلك في القصة موقف الإمام العز مع نائب السلطان المستبد الذي حضر إلي داره وفي يده السيف ليقتله، وإذ به يفاجئ بارتعاد نائب السلطان وسقوط السيف من يده وبكائه أمام الشيخ وطلب الدعاء له.

وفي نهاية القصة يعمد الرافعي إلي إبراز عنصر العقدة والحل، أو ذروة التعقيد ولحظة التنوير، وهو ما ظهر في المواقف التاريخية داخل القصة، وذلك في تنفيذ السلطان أيوب لأمر الإمام العز في واقعة القلعة،وإبطال المنكر الذي أمر الشيخ

بإبطاله. وظهر كذلك في ذهاب السلطان أيوب خلف الإمام العز يوم أن خرج من مصر، وموافقته وقبوله تنفيذ فتوي الإمام العز بحق أمراء المماليك وبيعهم.

رابعًا: أسلوب الاستطراد .

الاستطراد فن من فنون البديع الذي يأتي بكثرة في الأعمال الأدبية شعرًا ونثرًا، ويقصد به "الانتقال من معني إلي معني آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلي ذكر الثاني "(١).

وهو كذلك خروج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلي غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع فينتقل إلي إتمام الكلام الأول "(٢).

ويظهر في قصة أمراء للبيع أسلوب الاستطراد بوضوح وجلاء، وذلك من خلال كثرة الشرح والتحليل والتفسير الذي يحرص عليه الرافعي في قصصه التاريخي، ففي قصة"أمراء للبيع"تبدو تلك الظاهرة حاضرة وماثلة من خلال بعض التحليلات والتفسيرات التي ساقها الرافعي داخل القصة، منها قوله: " أتدري يا ولدي ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء وكلهم آخذ من نور واحد لا يختلف ؟ إن أولئك في أخلاقهم كاللوح من البلور ؛ يظهر النور نفسه فيه ويظهر حقيقته البلورية ؛ وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشب يظهر النور حقيقته الخشبية لا غير !وعالم السوء يفكر في كتب الشريعة وحدها ؛ فيسهل عليه أن يتأول ويحتال ويغير ويبدل ويظهر ويخفي ؛ ولكن العالم الحق يفكر مع كتب الشريعة في صاحب الشريعة، فهو معه في كل حالة

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة.عبد المتعال الصعيدي الناشر مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشرة سنة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ مـ ص ٤٧ .

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم الهاشمي ضبط يوسف الصميلي الناشر المكتبة العصرية بيروت.ص ٢٥.

يسأله ماذا تفعل وماذا تقول ؟والرجل الديني لا تتحول أخلاقه ولا تتفاوت ولا يجيء كل يوم من حوادث اليوم، فهو بأخلاقه كلها، لا يكون مرة ببعضها ومرة ببعضها، ولن تراه مع ذوي السلطان وأهل الحكم والنعمة كعالم السوء هذا الذي لو نطقت أفعاله لقالت لله بلسانه: هم يعطوني الدراهم والدنانير فأين دراهمك أنت ودنانيرك ؟إن الدينار يا ولدي إذا كان صحيحاً في أحد وجهيه دون الآخر، أو في بعضه دون بعضه، فهو زائف كله ؛ وأهل الحكم والجاه حين يتعاملون مع هؤلاء يتعاملون مع قوة الهضم فيهم...فينزلون بذلك منزلة البهائم ؛ تقدم أعمالها لتأخذ بطونها، والبطن الآكل في العالم السوء يأكل دين العالم فيما يأكله..فإذا رأيت لعلماء السوء وقاراً فهو البلادة، أو رقة فسمها الضعف، أو محاسنة فقل إنها النفاق، أو سكوتاً عن الظلم فتلك رشوة يأكلون بها !قال الإمام".

فنري الرافعي هنا قد تطرق إلي بعض التفسيرات والتحليلات حول الحديث عن الفروق بين علماء الحق وعلماء السوء، مستطرداً في بيان ذلك الأمر مبتعداً عن نمو الأحداث داخل القصة واحتدام الصراع فيها.

ولعل الرافعي قد تأثر في هذا الأمر بالقصة القرآنية التي تجنح في بعض الأحايين إلي سرد بعض الحقائق والمواعظ الدينية والدعوية الملقاة علي ألسنة الأنبياء والمرسلين كما في سورة يوسف وسورة القصص وغيرهما"(١).

خامساً: ظاهرة الإسقاط في القصة .

حملت قصة الرافعي "أمراء للبيع" العديد من المعاني والرسائل القوية المقصودة من الرافعي لإسقاطها علي ظروف مجتمعه وعصره.

(١) القضايا الفنية والفكرية في أدب الرافعي ج ٢ ص ٤٦٣.

وما كان بمقدور الرافعي أن يعبر عن تلك المعاني والرسائل المقصودة بأسلوب مباشر وصريح، وذلك لقلة أو انعدام مساحة الحرية في القول أو التعبير عن الآراء السياسية في عصره، حيث إن سقف الحرية لم يكن ليسمح للرافعي بانتقاد القصر آنذاك، رغم ما كان يحظىٰ به الرافعي من قُرب ومكانة لدي القصر، حيث كان الرافعي شاعر الملك الأول، قبل حدوث جفوة بينه وبين الملك كان علي إثرها انتزع الملك منه لقب شاعر القصر وأنعم به علي "عبد الله عفيفي "(١). ومن ثمّ لجأ إلي لغة الرمزية أو الإشارة، فأخذ من أحداث التاريخ ما يسقطه علي الواقع دون اللجوء إلي التصريح المكشوف المزعج.

ويبدو أن تلك القصة وغيرها من القصص التي تضمنت المعاني والرسائل السياسية العصرية المخبأة خلف أحداث التاريخ كتبها الرافعي في تلك المدة التي حدث فيها الجفاء بين الرافعي والقصر، فآثر فيها جانب الإشارة والتلميح عن المباشرة والتصريح .

والرافعي نفسه كان قد كشف عن جانب من ذلك التضييق عليه حينما سُئل عن سر عدم رثائه لصديقه الزعيم "محمد فريد"بعد وفاته فقال: "أما عدم رثاء الشهيد العظيم ط فريد بك "فأنت لا تعرف الظروف المحيطة التي جعلتني أري السلامة في السكوت، وأعلم أنني لو نظمت ذلك الرثاء كما يجب أن ينظم وفي المعاني التي تليق به لرأيت في الصحف خبر نقلي إلي قنا أو ما دونها، فترك الشر ساكنًا أجمل بي "(٢).

(١) حياة الرافعي ص ١٤١.
(٢) حياة الرافعي ص ٦٥ .

سادسًا: أسلوب التناص في القصة

يظهر التناص أول ما يظهر في أول عتبة من عتبات هذا النص الأدبي وهو عنوان القصة "أمراء للبيع "وهذا العنوان كما يظهر لنا ليس من إبداع فكر الرافعي ولا من وحي قلمه. إنه من صياغة العالم الفقيه العز بن عبدالسلام، ويتناص مع مقولته التاريخية العفوية التي صدع بها ساعة أن باع الأمراء المماليك في مزادٍ علني.

فإن الإمام العزَّ لم يكن بصدد صياغة قصة يفتش لها عن عنوان، كما لم يكن ممن يهتم بتنميق الألفاظ وانتقائها، فلم يعمل فكره في الاختيار، ولكنها العفوية النابعة من الواقع.

إنها مجرد كلمات كان العز ينادي بها في السوق في ذلك اليوم الذي قام فيه يبيع الأمراء في المزاد. فالتقطها الرافعي ببيانه وفنه، وصاغها صياغة أدبية عالية، بعد أن خطها العزّ واقعًا في الحياة، فجاء الرافعي فلفت النظر بقلمه إلىٰ بعض مواطن الجمال فيها.

وفي القصة كذلك بعض مظاهر التناص المعنوي كما في قول الرافعي:"وما معنىٰ العلماء بالشرع إلا أنهم امتداد لعمل النبوة في الناس دهراً بعد دهر، ينطقون بكلمتها، ويقومون بحجتها".فهو في هذا القول البليغ نراه متأثرا بقول النبي صلي الله عليه وسلم:"إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ "(١).

---

(١) ينظر سنن الترمذي لمحمد بن عيسي بن الضحاك الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي

الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. ٤٨/٥

سابعا : أساليب الخيال في القصة .

يتلون الخيال الأدبي عند الرافعي مستمدًا عناصره من الحكايات التراثية أو المظاهر الكونية او النفس الإنسانية أو الواقع الاجتماعي، وصور الرافعي الخيالية لا تأتي بتلقائية، وإنما منتزعة من فكره انتزاعًا، ولهذا فهي تتداخل أحيانًا وتتزاحم فيها التشبيهات والاستعارات وألوان البديع المختلفة لصياغة الصورة عنده. والخيال لديه أيضًا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بخلاصة عقله وحضوره الذهني، ولا غرو في هذا فهو أديب فكرة وهدف "(١).

ويبدو لنا أن التشبيه في قصة"أمراء للبيع"هو أكثر الأنماط البلاغية استخدامًا في تشكيله للصورة الأدبية، من ذلك قول الرافعي: أتدري يا ولدي ما الفرق بين علماء الحق وعلماء السوء وكلهم آخذ من نور واحد لا يختلف؟! إن أولئك في أخلاقهم كاللوح من البلور؛ يظهر النور نفسه فيه ويظهر حقيقته البلورية؛ وهؤلاء بأخلاقهم كاللوح من الخشب يظهر النور حقيقته الخشبية لا غير". فالرافعي يشبه علماء الحق في صدقهم وإخلاصهم ونفعهم لغيرهم باللوح من البلور في شفافيته ونقائه،وتظهر فيه أنوار العلم وتنعكس علي غيره بالنفع والضياء، بينما يشبه علماء السوء باللوح من الخشب،الذي يكشف العلم حقيقته الخشبية الجامدة، مبرزًا مدي زيفه وخداعه للآخرين، فلا نفع فيه ولا تأثير منه.

ومن تشبيهات كذلك تشبيهه السلطان بالقط في قوله: "قال: يا بني، استحضرت هيبة الله تعالىٰ فكان السلطان أمامي كالقط". حيث شبه السلطان في صغارته وحقارته

(١) من مقال بعنوان الخصائص الأسلوبية للرافعي في وحي القلم.د مكارم الديري بمجلة الأدب الإسلامي المجلد الحادي عشر العدد الثالث والاربعون سنة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ص ٥١

بالقط وقت أن عمُرَ قلب الإمام العز باليقين والثبات،واستحضر هيبة الله تعالي في ذلك الوقت، فلم يخش شيئا، وصغر أمامه كل شيء بما في ذلك السلطان.

وأتي بصورة تشبيهية أخري معبرة أكدّ بها علي مدي هوان وصغار علماء الدنيا وعبيد الشهوات أمام سطوة الحكّام وسلطانهم، وذلك في قوله: "فإذا العالِمُ من السلطانِ كالخشبةِ البالية النخرة حاولت أن تقارع السيف". حيث شبه ضعف العالِم الكاذب المنافق طالب الحظوظ والمنافع أمام قوة السلطان وبأسه بخشبة بالية ضعيفة تحاول أن تقارع وتضارب سيفًا قويًا بتّارًا، فلا تستطيع الصمود أمامه أو معادته.

وتظهر كذلك الاستعارة في قول الرافعي:"نحن يا ولدي مع هؤلاء كالمعنىٰ الذي يصحح معنىٰ آخر، فإذا أمرناهم، فالذي يأمرهم فينا هو الشرع لا الإنسان "حيث صوّر الرافعي الشرع والدين في نفوس علماء الحق بإنسان يأمر وينهي، منزهًا بتلك الصورة البيانية المعبرة علماء الحق عن الانتصار للنفس، والتجرد من الهوي والتعصب، ومرتفعًا بهم إلي مقام من السمو والرفعة في أداء رسالتهم الدينية السامية.

ويظهر التشبيه البليغ كذلك في قول الرافعي مصورًا مدي أثر خروج الإمام العز من القاهرة في نفوس العامة من الشعب:"ففزع الناس وتبعوه، لا يتخلف منهم رجل ولا امرأة ولا صبي، وصار فيهم العلماء والصلحاء والتجار والمحترفون، كأن خروجه خروج نبي من بين المؤمنين به"، حيث شبه خروج الإمام العز بن عبد السلام من مصر وخروج الناس خلفه بخروج نبي من بين قومه الذين تبعوه وخرجوا خلفه، وفي ذلك تعبير بياني بليغ لإظهار قيمة وقدر الإمام العز في مصر،وتأثيره البالغ في العامة من الرعية .

ومن أبلغ الصور البيانية المعبرة في القصة كذلك قول الرافعي: "إن السلطان والحكام أدوات يجب تعيين عملها قبل إقامتها، فإذا تفككت واحتاجت إلىٰ مسامير

دقت فيها المسامير ؛ وإذا انفتق الثوب فمن أين للإبرة أن تسلك بالخيط الذي فيها إذا هي لم تخُزّه ؟ إن العالم الحق كالمسمار ؛ إذا أوجد المسمار لذاته دون عمله كفرت به كل خشبة".

ففي هذا القول أكثر من صورة بيانية، حيث صوّر الرافعي الحكّام بالأدوات التي يجب تحديد وتنظيم عملها قبل إقامتها في ذلك العمل، وذلك حتي تؤدي عملها في اعتدالٍ وانضباط دون زيغ أو ميل إلي الهوي الشخصي.

ونري صورة تشبيهية أخري بليغة تعكس لنا مدي قبح علماء السور من عبيد المال والجاه في قول الرافعي في شأن الإمام العز "وقد أيقن أنه ليس رجل الدينار والدرهم والعيش والجاه ولبْس طيلسان العلماء كما يلصق الريش علىٰ حَجَرٍ في صورة الطائر".

ففي صدر العبارة مدحٌ وثناءٌ للإمام العز بسمو نفسه وترفعها عن حُطام الدنيا وشهواتها، وفي عجزها ذمٌ لعلماء السوء والنفاق الذين يبيعون دينهم وعلمهم بعرض الدنيا الزائل، فهم

كحجرٍ جامدٍ في صورة طائرٍ عليه ريشٌ لا روح فيه ولا حياة، فحياتهم وعلمهم لا روح فيها ولا حياة، فتحسبهم أحياء وهم بين الناس أموات.

وبذلك تظهر لنا مدي براعة الرافعي ومقدرته البيانية في التقاط وتوظيف الصور الخيالية والفنية الرائقة في القصة، مما أكسبها المزيد من القوة والتأثير والحيوية في نفوس المتلقين.

واستعان الرافعي كذلك في قصته ببعض الصور والألوان البديعية المطبوعة كالطباق في قوله "فيخشع الضعفُ أمام القوة، ويذلّ الفقرُ بين يدي الغني "والذي صوّر به مدي الهوان والذُلُّ الذي يكون عليه عالم السوء وطالب الدنيا أمام سطوة

الحاكم وسلطانه، ولا يخفي ما فيه كذلك من تشخيص فني بليغ، حيث صوّر الضعف بإنسان يخشع ويخضع أمام القوة، وصوّر الفقر بإنسان يُذلُّ أمام الغني، دلالة علي شدة الأثر ومدي الهوان الذي يكون عليه علماء السور والنفاق .

ثامنًا : اللغة في القصة.

من المعروف أن الرافعي ينتمي بقلبه وفكره وروحه إلي مدرسة الاتجاه البياني المحافظ في الأدب، ويعتمد أصحاب هذا الاتجاه الأصيل علي استلهام النماذج الجيدة التي خلّفتها عصورُ الازدهار الأدبي، وجعل هذه النماذج قالبًا للتعبير والصياغة لديهم، وكان أساس هذا الاتجاه اعتماد الفصحي في التعبير، ورفض العامية، وضرورة المحافظة علي قوانين اللغة ومميزاتها الخاصة، ورفض التقليد والجمود والتكلف والتعقيد. وقد وصف الرافعي نفسه بأنه "رسول لغوي".

وجاءت جميع قصص الرافعي في كتابه "وحي القلم"بلغة فصيحة جزلة وقوية، ولم يستخدم العامية فيها إلا في قصتين فقط من قصصه وهما "قصة بنت الباشا،وقصة"السطر الأخير من القصة "(١).

وبمقارنة لغة الرافعي في قصة "أمراء للبيع "عن اللغة التي كتبت بها تلك القصة في كتب التاريخ نلحظ أن الرافعي في قصته هذه قد نحّي عنها الألفاظ والمفردات العامية التي وردت في كتب التاريخ واستبدلها بألفاظ عربية فصيحة، من ذلك لفظة "إيش"التي وردت كثيرا في كتب التاريخ، كما جاء في كتاب "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة "في الحوار الذي دار بين الإمام العز بم عبد السلام ونائب السلطان المملوكي الذي جاء إليه ليقتله: "وقال: يا سيدي إيش تعمل؟ فقال: أنادي

(١) من مقال بعنوان من ملامح القصة عند الرافعي بمجلة الأدب الإسلامي العدد الثالث والأربعون سنة ٢٠٠٤ م ص ١٤٥.

عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟ قال: أنا"(١) فقد استبدل الرافعي لفظة "إيش"بقوله "ما تصنع بنا".

وبذلك تبدو لنا لغة الرافعي في قصة "أمراء للبيع"واضحة وقريبة، مع جزالتها وفصاحتها، وخلت تمامًا من مظاهر الابتذال أو الضعف أو التكلف، ودلت علي سعة ثقافته،وسلامة قوله، وحسن بيانه.

وبعد هذه السياحة التحليلية والأدبية المتواضعة حول قصة"أمراء للبيع "للرافعي كشفت لنا هذه الدراسة وأظهرت القيمة الفنية والأدبية العالية التي كان يتمتع بها الأديب الكبير"مصطفي صادق الرافعي"، وشمولية فنه وأدبه، واستيعابه لكافة الأجناس والألوان الأدبية المعروفة من شعر ومقال وقصة وغيرهم، خلافًا لما أثير حول أدبه من افتقاده الإبداع في مجال القصة الأدبية، حيث استهلت الدراسة بعد المقدمة بالحديث عن حياة الرافعي وبأصالة الفن القصصي التاريخي في أدبه، ثم عرجت بعد ذلك إلي الحديث عن مضمون وفكرة قصة"أمراء للبيع"ثم تناول بعض الخصائص الموضوعية التي حوتها تلك القصة، ثم دراسة بعض الجوانب والتقنيات الفنية التي استعان بها الرافعي في كتابة قصته من حدث، وشخصيات، وزمان ومكن القصة، وطريقة البناء الفني في القصة، وعناصر الخيال، والأسلوب، واللغة، وصولًا إلي خاتمة البحث ونتائجه التالية.

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢- ١٦٣

الخاتمة

وبعد هذه السياحة الأدبية والتحليلية المتواضعة حول قصة "أمراء للبيع "للرافعي خلُص البحث إلي عدة نتائج منها ما يلي :

١- كشف البحث عن سعة إطلاع الرافعي، وحسن قراءته وفهمه للتاريخ الإسلامي قراءة واعية وفهمًا سليمًا،كشف عن مدي فهمه ووعيه للتاريخ الإسلامي.

٢- كشف البحث عن أهمية وضرورة إعادة قراءة ودراسة تراث الرافعي بصورة تعكس ما فيه من قيم ودروس نافعة.

٣- فنّدت الدراسة وأبطلت شبهة التقليل والتهوين من مكانة الرافعي الأدبية، وانحصاره في كتابة المقالات الأدبية فحسب،وأزاحت الغبارعن فنه القصصي البديع المطمور بين صفحات كتابه الفريد"وحي القلم"والحث علي دراسة هذا الفن من كافة الاتجاهات والجوانب.

٤- استطاع الرافعي أن يزيح الغبار عن علماء الدين المخلصين، ويجلو الصورة الإيمانية والدينية الصحيحة لهم، علي عكس ما فعله غيره من الكتّاب من تشويه وتجريح في رموز وعلماء الأمة المخلصين.

٥- كشف البحث عن أهمية وضرورة تجنب العالم الصادق المهادنة والنفاق، وضرورة أن يكون علي مسافة واحدة، وذلك من أجل أن يكون مستقًلا في رأيه وفتواه.

٦- استطاع الرافعي أن يسمو بالقصة الأدبية إلي غايات من النفع والإصلاح الديني والمجتمعي والسياسي، وأن يخرج بها عن دائرة الترفيه والتسلية والإمتاع الوقتي.

٧- كشف البحث عن إلمام الرافعي بأدوات الفن القصصي، واستخدامه في كتابة القصة الأدبية عناصر هذا الفن من أحداث وشخصيات وصراع وعقدة وحبكة وحل.

٨- كشف البحث عن قيمة العلم النافع، وسلطانه النافذ القاهر علي الحكام

والمحكومين.

٩- صنع الرافعي في فنه القصصي بصمة فنية خاصة تميز بها بين كتّاب عصره، ظهرت جلية في كثرة استطراده وتعليقاته وتفسيراته المتداخلة وسط الأحداث والوقائع القصصية المختلفة، والتي كشفت عن سعة أفكاره ورؤاه الشخصية حول ما يبدع، وعدم الاكتفاء بنقل الأحداث والوقائع بصورة فنية جامدة مجردة.

١٠- كشف البحث عن سلامة لغة الرافعي، وحسن تمكنه وتملكه للأساليب العربية الأدبية، وامتلاكه لناصية البيان والفصاحة، واتكأ في رسم صوره داخل القصة علي الحقيقة والمجاز والتشخيص والتشبيه، مع خيال قوي يدل علي قوة صاحبه، وحسن توظيفه للغة، وجمال صياغته، وروعة ترتيبه للأحداث والشخصيات داخل القصة.

توصيات البحث:

وبعد هذه الدراسة الموجزة لقصة "أمراء للبيع "للرافعي يخلص البحث إلي إبراز توصيتين أحدهما تتعلق بالكاتب وشخصيته، والأخرىٰ بفنه القصصىٰ وهما:

الأولى: وتتعلق بالكاتب وهو"الرافعي"مفادها ضرورة النظر إلي الرافعي وشخصه نظرة موضوعية محايدة، بعيدة عن التعصب له أو عليه، حتىٰ نستطيع أن نصل إلي أفكاره ورؤاه الأدبية من وراء ما خلّف وكتب لنا.

التوصية الأخرى: المتعلقة بفن الرافعي القصصي مفادها أهمية إعادة النظر والقراءة المتأنية لما خلّفه الرافعي من موروث قصصي بديع، وعدم التضييق عليه بحصره بقيود وشروط القصة الحديثة، حتىٰ نستطيع الوصول إلي أهداف وغايات الكاتب من وراء تلك الأعمال والكتابات القيمة.

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

١- الأعلام لخير الدين الزركلي طبعة دار العلم للملايين بيروت لبنان سنة ١٩٨٠ م.

٢- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ الناشر: دار إحياء التراث – بيروت عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم الهاشمي ضبط يوسف الصميلي الناشر المكتبة العصرية بيروت.

٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه – مصر الطبعة: الأولىٰ ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٥- سنن الترمذي لمحمد بن عيسي بن الضحاك الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح تحقيق محمود الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت. الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٧- طبقات الشافعية الكبرىٰ. لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ

٨- وحي القلم. مصطفي صادق الرافعي. ضبطه وصححه محمد سعيد

العريان . مطبعة الاستقامة الطبعة الأولي سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م.

ثانيا المراجع:

١- الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلي قيام الحرب العالمية الكبرىٰ الثانية . د أحمد هيكل. طبعة دار المعارف. الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣ .

٢- الراوي والنص القصصي. د عبد العظيم الكردي. الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة الطبعة الأولي سنة ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.

٣- القضايا الفنية والفكرية في أدب الرافعي د أحمد جاد صالح شاهين إصدارات وطبع مجلة الوعي الإسلامي الإصدار مائة وستة وسبعون سنة ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩ م .

٤- العنوان وسيمو طيقا الاتصال الأدبي. د محمد فكري الجزار.طبعة الهيئة العامة للكتاب الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٦ م .

٥- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة.عبد المتعال الصعيدي الناشر مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشرة سنة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ مـ .

٦- تأملات في أدب الرافعي. وليد عبد الماجد كساب. طبعة دار البشير للثقافة والعلوم.الطبعة الأولي سنة ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦م.

٧- تطور الأدب الحديث في مصر. د أحمد هيكل. طبعة دار المعارف.الطبعة السابعة .

٨- حياة الرافعي .محمد سعيد العريان.الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م مطبعة الاستقامة بالقاهرة المكتبة التجارية الكبرىٰ.

٩- في النقد الأدبي الحديث.د محمد لأحمد سلامة. دار الطباعة المحمدية

الطبعة الأولي سنة ١٩٨٨ م.

١٠- مجلة الأدب الإسلامي. المجلد الحادي عشر العدد الثالث والاربعون سنة ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م .

١١- مدخل لدراسة مصطفي صادق الرافعي. د عبد القادر القط . طبعة الشركة العالمية للنشر لونجمان مصر سنة ١٩٩٤ م .

١٢- مرايا السرد . د ربيع عبد العزيز. الناشر مكتبة الآداب بالقاهرة الطبعة الأولي سنة ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م.

فهرس المحتويات

م	العنوان	الصفحة
١-	المقدمة	١٦٧٢
٢-	**التمهيد: حياة الرافعي وفنه القصصي**	١٦٧٦
٣-	حياة الرافعي	١٦٧٦
٤-	فن القصة في أدبه	١٦٧٨
٥-	**المبحث الأول: الرؤية والمضمون في قصة أمراء للبيع**	١٦٩٠
٦-	**المبحث الثاني: تقنيات التشكيل الفني في قصة أمراء للبيع**	١٧٢٤
٧-	**أولا:** تقنية الحدث او الحكاية	١٧٢٤
٨-	**ثانيا:** تقنية وصف الشخصيات في القصة	١٧٢٦
٩-	**ثالثا:** تقنية الزمان والمكان	١٧٢٨
١٠-	**رابعًا:** تقنية الأسلوب والحوار في القصة	١٧٢٩
١١-	**المبحث الثالث: السمات الجمالية في قصة أمراء للبيع**	١٧٣٢
١٢-	**أولا:** سيميائية العنوان ودلالته في القصة.	١٧٣٢
١٣-	**ثانيا:** ظاهرة التناسل السردي أو التوالد الحكائي في القصة	١٧٣٣
١٤-	**ثالثا:** البناء القصصي	١٧٣٦
١٥-	**رابعًا:** أسلوب الاستطراد في القصة	١٧٣٧
١٦-	**خامسا:** ظاهرة الإسقاط في القصة	١٧٣٨
١٧-	**سادسا:** أسلوب التناص في القصة	١٧٤٠
١٨-	**سابعا:** أساليب الخيال في القصة	١٧٤١
١٩-	**ثامنا:** اللغة في القصة	١٧٤٤
٢٠-	**خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته**	١٧٤٥
٢١-	**قائمة المصادر والمراجع**	١٧٤٨